المقتطف

الجزء العاشر من المجلد التاسع والعشرين

١ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٤ — الموافق ٢١ رجب سنة ١٣٢٢

كتاب روزبري عن نبوليون

تمهيد

لما ذكرنا اسماء المشاهير في العام الماضي مرتبة حسب شهرتهم ومقدار ما كُتب عنهم في التواريخ ودوائر المعارف الاوربية والاميركية كان اسم نبوليون اولها فهو باجماع اهالي اوربا واميركا اشهر انسان قام في المسكونة

وقد يُظن ان ما كُتب عنهُ منذ مئة عام الى الآن استغرق كل مايمكن ان يكتب في هذا الشان وان الكتّاب والمؤرخين لم يتركوا شاردة ولا واردة ولم يفرطوا بشيء بل زادوا القول على مافي تجالدٍ من السعة وصوّروا حول هامة نبوليون هالات من المجد استنزفت كل صور الخيال . لكن ظهر من عهد قريب كتاب كتبهُ اللورد روزبري عن اخريات نبوليون جاء مصداقاً للقول المأثور "كم ترك الاول للآخر" لان اللورد روزبري اتى باخبار جديدة لم يأتِ بها غيرهُ بل لانهُ محّص ما كُتب في هذا الموضوع وتقاهُ مما ادخلتهُ فيهِ الاوهام والاغراض ونسقهُ تنسيقاً بديعاً وابدى فيهِ من حسن الانتقاد واصالة الرأي مايندر نظيرهُ

واسم اللورد روزبري مشهور عند قراء المقتطف بنوع عام وعند المصريين منهم بنوع خاص وهو تلميذ غلادستون وخليفتهُ في زعامة الاحرار من الانكليز وفي رئاسة نظارهم قبل ان اعتزل السياسة . وقد طالعوا بعض خطبهِ مترجمة او ملخصة وعرفوهُ بقوة العارضة وحسن البيان ولكن قد لايعلم جمهورهم انهُ من كبار الكتّاب . وهذه مزية للانكليز على غيرهم من الامم وهي ان كثيرين من زعمائهم في السياسة هم من زعمائهم ايضاً في الانشاء فيجمعون بين وزارتي السيف والقلم ولذلك ترجح سياستهم على سياسة غيرهم

وقد اتفق لنا ان طالعنا هذا الكتاب ونحن في مكان يشرف على بحر الروم حيث اصطدمت بوارج نبوليون ببوارج الانكليز خصومهِ الالداء الذين تعقبوهُ من حين خفق علَم النصر فوق رأسهِ الى ان أخمدت انفاسهُ في منفاهُ . واصطدمت قبلها بوارج مصر ببوارج رومية وامتزجت مياهُ البحر بدماء الابطال من عهد رعمسيس الكبير الى شهد نبوليون خاتمة الفاتحين العظام . طالعناهُ فعجبنا من انصاف المؤلف ومهارتهِ في استنباط الحقائق وكشف الغوامض فرأينا ان نقتطف منهُ ما تجيزهُ لنا حقوق التلخيص

(١) نفي نبوليون

بدأ اللورد روزبري كتابهُ بفصول ذكر فيها رفاق نبوليون والذين كتبوا اخبارهُ في منفاهُ وشرح اطوارهم وبيَّن انهم لم يكتفوا بذكر الحوادث كما هي بل زوَّقوها باذواقهم وزادوا عليها من مخترعاتهم . ويظهر لنا مما قالهُ في عرض كلامهِ عنهم ان اكثرهم كانوا جواسيس عليهِ او صاروا جواسيس يتجسسون امورهُ ويتاجرون باخبارهِ

ولما تمَّ الكلام عليهم شرع في الكلام على نفي نبوليون فقال " ان الانكليزي ليأسف لان حكومة بلادهِ رضيت بان تحرس نبوليون في منفاهُ ويزيد اسفهُ لانها قامت بهذه الحراسة على اسلوب مهين وبواسطة اناس شكسي الاخلاق فان كان الفرنسيون يتغاظون من ذكر جزيرة القديسة هيلانة فنحن الانكليز نتألم من ذكرها ونتوجع . ولكن قد لا نستطيع في هذه الايام ان نحكم حكماً صائباً في ما كانت عليهِ الاحوال في ذلك الحين فان انكلترا انفقت على مقاومة نبوليون وارسالهِ الى جزيرة البا اكثر من ثماني مئة مليون جنيه ثم اضطرَّت ان تنفق كثيراً من الملايين قبل ان تغلبت عليهِ عدا ما خسرتهُ هي وسائر اوربا من النفوس الذين لا يقل عددهم عن مليونين فكان على الدول المتحالفة ان تمنع افلاتهُ باية واسطة كانت لئلا يعود الى سابق عهدهِ ويضرم نار الفتنة في اوربا كلها . الاَّ ان خوف اوربا منهُ يزيدهُ شأناً ورفعة قدر

ولما سلَّم نبوليون نفسهُ لانكلترا بعد واقعة ووترلو كتب لورد لفربول رئيس وزرائها الى لورد كاسلراي وزير الخارجية فيها يقول حبذا لو استلم ملك فرنسا بونابرت وقتلهُ شنقاً او رمياً بالرصاص لعصيانهِ . ثم كتب اليهِ ثانية يقول "ان كان ملك فرنسا لا يرى من نفسهِ المقدرة على معاملة بونابرت كما يعامل العصاة فنحن نأخذ على انفسنا حراستهُ " . وشكر اللورد روزبري ربهُ لان الوزارة الانكليزية لم تسلم نبوليون لملك فرنسا لكي يقتل رمياً بالرصاص كما قتل المرشال ناي الفرنسوي

ولم يكن نبوليون ينتظر ان ينفى الى جزيرة القديسة هيلانة بل كان يحسب ان الانكليز يسمحون لهُ بالسكن في بلادهم كاحد الناس فيقضي غابر عمرهِ في الصيد والقنص منقطعاً عن السياسة ومشاغلها. لكن الحكومة الانكليزية لم تكن تأمن جانبهُ وهو على اميال قليلة من فرنسا ولا كانت تخلص من المشاكل القضائية التي تجرها عليها اقامتهُ في بلادها. وقد دلت الدلائل بعدئذٍ على انهُ كان قاصدًا ان ينتهز اول فرصة تسنح لهُ ليعود الى فرنسا ويضرم نار الفتنة فيها على البوربون. وزد على ذلك انهُ لو اقام في انكلترا لالتفَّ الناس عليهِ من كل صوب من مريديهِ والمعجبين بهِ فيضعف بذلك شأن وزارة المحافظين الذين قهروهُ. ولم يكن يخلو من الانصار حتى في البلاد الانكليزية فقد كتب لورد لفربول الى لورد كاسلراي في هذا الصدد يقول " انك تعلم من اخلاق الناس في هذه البلاد ما يقنعك بان بونابرت يصير موضوع اعجابهم وقد تتعلق قلوبهم بهِ في مدة اشهر قليلة ". ونقاطر عليهِ الزوار لما وصل بليموث فأيَّد ذلك راي لورد لفربول وكان هو يعلم هذا فقال وهو في جزيرة القديسة هيلانة انهُ لو اقام في بلاد الانكليز لسبى قلوب اهاليها. وظهر ذلك جليًّا على بحارة السفن الانكليزية التي سار فيها الى جزيرة البا والى انكلترا وجزيرة القديسة هيلانة فانهم كانوا يحبون يدهُ ويدعون لهُ بطول العمر. وزد على ذلك ان ولي عهد انكلترا الذي كان نائب ملكها حينئذٍ كان ميَّالاً اليهِ حتى قال لورد كيث امير البحر انهُ لو التقى بنبوليون وكلمهُ نصف ساعة لصار من اعز اصدقائهِ. وجملة القول انهُ لو سُمح لنبوليون ان يقيم في انكلترا لكان منهُ خطر كبير على الوزارة الانكليزية وعلى الحكومة الفرنسوية ولو سُمح لهُ ان يقيم في اوربا او في اميركا لما أخلد الى السكينة لان طبعهُ يأباها او لاغتالتهُ يد خصومهِ ولذلك اتفقت الآراء على ابعادهِ الى جزيرة القديسة هيلانة حفظاً للسلم العام

ولما أُخبر بعزم الحكومة الانكليزية على ارسالهِ الى هذهِ الجزيرة اغتاظ وقال انهُ لا يذهب اليها حيًّا ثم رضخ لاحكام القدر وقابل بلواهُ بالصبر. وأمر الذين اخذوهُ الى الجزيرة ان يعاملوهُ كجنرال متقاعد ولا يلقبوهُ الاَّ بلقب الجنرال بونابرت. وصعد الى ظهر السفينة يمشي حاسر الرأس فبقي الضباط جالسين ولم يكشفوا رؤوسهم ولم يعاملهُ اميرال السفينة بالاكرام في اول الامر ثم احبهُ وصار يكرمهُ وقال انهُ كان اقل الركاب شكوى من تقلبات الهواء واشتداد الانواء

وكان بحارة السفينة يسيرون فيها على غير رضاهم وقد جاهروا بالعصيان قبل خروجها من مرفإ بليموث وأُجبروا على البقاء فيها بالقوة ولذلك لا عجب اذا عانى الاميرال المشاق في قيادتهم

وارضاء نبوليون ومنع اتصالهم بهِ . ووصلت السفينة بهِ الى الجزيرة بعد تسليمهِ بثلاثة اشهر وبقي في حراسة اميرالها الى ان وصل الجزيرة والٍ جديد وهو السر هدسن لو

(٣) السر هدسن لو

قال لورد روزبري فلما ذُكر احد في التاريخ ذكرًا غير مشكور كما ذكر "لو" هذا فان تحتهُ جعلهُ يقبل هذا المنصب الذي كان صعبًا على سواهُ ويستحيل النجاح فيهِ عليهِ فقد كان شكس الاخلاق سريع الغضب لا يعرف طرق المجاملة وقد قال نبوليون عنهُ حينما وقع نظرهُ عليهِ ان عينهُ كعين ضبع اخذت في نخ . وقالت لادي غرانفل وقد رأتهُ بعد عودتهِ من الجزيرة بسنتين ان وجههُ مثل وجه الشيطان . ولكن الحكومة التي كانت تود ان يقتل نبوليون شنقًا او رميًا بالرصاص لا يكبر عليها ان تختار لحراستهِ رجلاً مثل هذا وربما لم تكن لتجد غيرهُ يقبل بهذا المنصب المحفوف بالمكاره . ومما يثبت ما قيل عن شكاسة اخلاقهِ شهادة دوق ولنتون فقد قال عنهُ انهُ كان جاهلاً احمق حسودًا سيِّئ الظن . وشهادة الاميرال ملكلم ومندوبي فرنسا والنمسا وروسيا فقد قال الاميرال ملكلم انهُ وجد الجزيرة مملوءة بجواسيس لو وقال المندوب الفرنسوي انهُ كان يستحيل على انكلترا ان تجد رجلاً اشكس اخلاقًا منهُ . وقال عنهُ المندوب النمسوي انهُ منغص العيش دائمًا ولا يجد لهُ مسرَّة الاَّ بتنغيص عيش غيرهِ فالانكليز يخافونهُ والفرنسويون يضحكون عليهِ والمندوبون يشكون منهُ والكل متفقون على انهُ نصف مجنون . وكان المندوب الروسي يودهُ وتتزوج ابنة زوجتهِ لكنهُ قال عنهُ انهُ متعب جدًّا لا يُحتمل لفرط سخافتهِ ويستحيل عليهِ ان يسالم احدًا لانهُ لا يرى في الناس الاَّ الخيانة والغدر

ومما يدل على سخافة عقلهِ انهُ ابى ان يكلم المندوبين الاَّ بالانكليزية وكان المندوب الفرنسوي لا يعرف كلمة من الانكليزية و"لو" يحسن الفرنسوية . وبقي مصرًّا على رأيهِ واخيرًا عرض على المأمور الفرنسوي ان يخاطبهُ باللاتينية بناء على انها كانت اللغة الرسمية في القرن السادس عشر . واعطى بعضهم للمندوب الفرنسوي بزورًا من اللوبياء البيضاء والخضراء ليزرعها فاوجس لو من ذلك شرًّا وحسبهُ دسيسة زاعمًا ان البزور البيضاء تشير الى البوربون لان علمهم ابيض والخضراء تشير الى نبوليون لانهُ يلبس غالبًا سترة خضراء

ومما يدل على سخافة عقلهِ ايضًا وسوء سلوكهِ انهُ دعا نبوليون مرة للعشاء عندهُ وارسل الدعوة الى الكونت برتران على هذهِ الصورة " اذا سمح الجنرال بونابرت فالسر هدسن لو ولادي لو يسرَّان بشرف مشاركتهِ لهما في العشاء اكرامًا للكونتس يوم الاثنين المقبل الساعة السادسة مساء وهما يطلبان من الكونت برتران ان يوصل هذه الدعوة الى الجنرال ويخبرهما عن

جوابهِ " وأخبر برتران نبوليون بها فتأفف وقال ما اقل عقلهُ لاترسل اليهِ جواباً. والكونتس المشار اليها ههنا هي زوجة لورد مويرا حاكم الهند . اي ان لو اولم وليمة اكراماً لهذه الكونتس ودعا الامبراطور نبوليون ليحضر الوليمة اكراماً لها ولم يكتفِ بذلك بل لقبهُ باللقب الذي يعلم انهُ يغيظهُ ويغيظ فرنسا كلها وهو يحسب انهُ احسن صنعاً. وكفى بذلك دليلاً على سخافة عقلهِ ان لم يكن على قلة ادبهِ

ولا شبهة في ان السرهدسن لو كان يقصد خدمة بلادهِ لكنهُ جوزي منها جزاء سنمار على ما قال لورد روزبري فأُرسل الى سيلان بعد وفاة نبوليون ولما انقضت مدة خدمتهِ لم يعطَ خدمة اخرى ولا أُعطي معاشاً . ومرَّ وهو راجع من سيلان على البيت الذي كان فيهِ نبوليون فوجد انهُ صار مزربا للدواب

وظهر كتاب الدكتور اومبرا عن منفى نبوليون وقد صوَّب فيهِ سهام الذم للوالتنديد بهِ فعدَّ ذلك قذفاً وطلب محاكمة المؤلف ولجأ الى اثنين من المحامين فقالا لهُ عيِّن لنا اماكن القذف وحدِّ يقرأ الكتاب ولما تيسر لهُ تعيين اماكن القذف قال القضاة ان زمن رفع هذه الدعوى قد فات فاضطرَّ ان يدفع النفقات ولا ينال شيئاً. وطلب من الحكومة ان تدافع عنهُ فلم يلقَ مجيباً واخيراً دافع عنهُ واحد بكتاب كبير في ثلاثة مجلدات لكن الكتاب ظهر بعد وفاتهِ بتسع سنوات فلم يستفد منهُ وهو ضخم مملٌّ لا يقرأهُ احد

(٣) مسألة اللقب

واسهب لورد روزبري في مسألة تلقيب نبوليون بلقب جنرال فقال ان كل دول الارض ما عدا انكلترا اعترفت بنبوليون امبراطوراً لفرنسا غير انها كانت مستعدة ان تعقد معهُ صلحاً كامبراطور والبابا نفسهُ منحهُ امبراطوراً وقد أُعطي كل المزايا التي تعطى لاصحاب هذا اللقب سياسياً ودينياً وكان اعظم امبراطور قام في اوربا بعد شارلمان والالقاب التي منحها في فرنسا اعترف بها الذين خلفوهُ فكأنهم اعترفوا بسلطتهِ على منحها . وولنتون نفسهُ كان يلقب اخاهُ بلقب ملك فلم يكن انكار الحكومة الانكليزية عليهِ لقب الامبراطور الاَّ من قبيل السخافة ومثل ذلك تلقيب البارلمنت لهُ بنبوليون بونابرته Buonaparté كأنهُ اراد ان يجردهُ من الجنسية الفرنسوية ايضاً

وما عنتهُ الحكومة الانكليزية بالحية اجراهُ السرهدسن لو بالقنطار وجرى على خطتهِ الى ما بعد وفاة نبوليون فان اتباعهُ ارادوا ان يكتبوا على تابوتهِ اسمهُ نبوليون مجرَّداً من كل لقب فابى لوذلك وقال بل اكتبوا معها بونابرت فابوا هم ايضاً وتركوا التابوت من غير اسم

وعدَّد لورد روزبري امثلة كثيرة من هذا القبيل ثم نصب ميزان الجدَل واورد حجج الذين دافعوا عن الحكومة الانكليزية في اغفالها لقب الامبراطور وعززها بكل ما يمكن من ادلتهم حتى يظن القارئ انهُ لم يبقَ للمخالفين كلام يقولونهُ ثم انقضَّ على تلك الحجج بالشواهد التاريخية والنتائج العقلية فقوضها تقويضاً. وها نحن موردون بعض ما اوردهُ ليظهر منهُ كيف يجول امراء الكلام في ميادين الجدل. نقل اولاً كلام السر ولترسكوت كاتب سيرة نبوليون وهو

" لا شيء يدعو بريطانيا لمجاملة اسيرها وتلقيبهِ بلقب ضنَّت عليهِ بهِ حينما كان زمام الامبراطورية الفرنسوية في يدهِ "

ثم قال "ان مفاد عبارة سكوت ان بريطانيا غير مضطرَّة ان تجامل نبوليون حينما لم تعد ترجّي منهُ نفعاً وهي لم تجاملهُ حينما كانت تنتظر منهُ النفع مع انها كانت ترغب في تلك المجاملة حينئذٍ لانها فوَّضت الى لورد يرموث ولورد لودردايل ان يخابرا الامبراطور نبوليون سنة ١٨٠٦ وكان لقب الامبراطور مرعيًّا في مؤتمر شاتيلون الذي أرسل اليهِ كلٌّ من نبوليون ونائب ملك الانكليز نائبًا مفوَّضاً. ولو لم يوجس نبوليون شرًّا لعقدت المعاهدة فيهِ وامضاها الفريقان

ثم ان بريطانيا اعترفت بنبوليون امبراطوراً في جزيرة البا لان نائبها السر نيل كمبل كان يلقبهُ في المحررات الرسمية بجلالة الامبراطور نبوليون S. M. l'Empereur Napoléon "

وقال السر ولترسكوت انهُ لو اعترفت بريطانيا بنبوليون امبراطوراً لاضطرَّت ان تعاملهُ كامبراطور ولم يعد في وسعها الاحتفاظ بهِ كاسير وقال ان ذلك سبب جوهري لانكارها عليهِ لقب الامبراطور. فردَّ عليهِ لورد روزبري بقولهِ "ان الحكومة التي تعدُّ هذا السبب جوهرياً خالية من كل جوهر لانهُ لم يكن يتعذَّر عليها ان تجد في حكم نبوليون سوابق تجيز لها سجنهُ مع تلقيبهِ بلقب امبراطور كما سجن هو فرديننذ ملك اسبانيا. واذا قال نبوليون حينئذٍ اني انا لم اعترف بفرديننذ ملكاً جارتهُ الحكومة الانكليزية في ذلك وقالت انها هي لم تعترف بنبوليون امبراطوراً وزد على ذلك ان في اوربا متسلّطاً تفوق سلطتهُ سلطة الملوك لان ملوك اوربا يعترفون انهُ نائب الله على الارض وهو بابا رومية وهذا البابا قد توَّج نبوليون امبراطوراً ومع ذلك فان نبوليون قبض عليهِ وسجنهُ ولم يقل احد كيف يسجن البابا وهو صاحب التاج المثلث ولا انحطَّ شأن البابوية بذلك فلم يكن اذاً سبيل للامبراطور نبوليون ان يعترض على انكلترا لسجنها اياهُ وهو امبراطور لانهُ هو سار على هذه الخطة قبلها"

وقال السر ولترسكوت انهُ لو لقبت انكلترا نبوليون امبراطور فرنسا فماذا يكون شأن الملك

لويس الثامن عشر وملك اي مملكة يكون. فاجاب اللورد روزبري "اولاً ان نبوليون لم يلقب نفسهُ امبراطور فرنسا بل الامبراطور نبوليون. وثانياً ان ملك الانكليز يلقب نفسهُ وتلقبهُ حكومتهُ بملك فرنسا مع انهُ كان على فرنسا ملك معترف بهِ وهو لويس الخامس عشر وخلفهُ لويس السادس عشر فكيف حقَّ للحكومة الانكليزية ان تلقب ملكها بملك فرنسا وعلى فرنسا ملك شرعي. ولم تترك انكلترا تلقيب ملكها بملك فرنسا الاَّ على عهد نبوليون ولعلها فعلت ذلك ارضاء لهُ. ولكن الحكومة الانكليزية احسنت في انها لم تجادل نبوليون بادئة السر ولتر سكوت والاَّ لثار نبوليون في وجهها كالاسد وافسد حجتها من تاريخها وبيَّن لها انهُ ابقى للملك شارل الرابع القابهُ مع انهُ وضع اخاهُ يوسف بدلاً منهُ على عرش اسبانيا"

ثم ذكر السر ولتر سكوت حكم مؤتمر برلين بتجريد نبوليون من الحقوق المدنية وحسبانهِ عدوًّا لنوع الانسان ومقاتاً للراحة لانهُ نقض الاتفاق الذي جُعل بموجبهِ امبراطوراً على جزيرة البا وعدَّ السر ولتر سكوت ذلك دليلاً على ان اوربا جرَّدت نبوليون من كل الالقاب. فردَّ عليهِ لورد روزبري بقولهِ "ان نبوليون لم ينقض ذلك الاتفاق بل نقضتهُ حكومة فرنسا لانها تعهدت ان تدفع اليهِ مليوني فرنك كل سنة والى عائلتهِ مليونين ونصف مليون وتعطي ابنهُ دوقية بارما وبياشنزا وغواستلاً فيلقَّب برنس تلك الدوقيات وذلك كلهُ مقابل تنازل نبوليون فلم تقم بشيء مما تعهَّدت لهُ بهِ فهي البادئة بنقض العهود. وكان امبراطور روسيا وامبراطور النمسا ووزير انكلترا يطلبون من حكومة فرنسا ان تقوم بعهودها فيجيبهم الوزير تليرند انهُ يخاف ان يرسل المال الى نبوليون فيستعملهُ في حشد الجنود ثم يقول لمولاهُ الملك اننا نتذرَّع بالمطل فتضطر انكلترا ان تدفع المال من جيبها. وقد صرَّح لافايت ان البوربون قصدوا ان يحملوا نبوليون على عمل منكر حتى ينتكوا بهِ وكانوا يفكرون في طريقة يغتالونهُ بها. ولذلك فالمتحالفون هم الذين نقضوا المعاهدة لا نبوليون فهم اولى منهُ بالحرمان من الحقوق المدنية ان كان حرمانها نتيجة نقض المعاهدة

ثم ان الامة الفرنسوية لم تصادق على حكم ذلك المؤتمر بل أيَّدت رغبتها في عودة نبوليون اليها وتولي شؤونها وخروج البوربون منها بالصوت العام (بليبسيت) فكيف تستحل الدول الاخرى ان تغض الطرف عن ارادة امة بأكملها

وقد يقال انهُ ان كانت الحكومة الانكليزية قد اساءت في انكارها على نبوليون لقب امبراطور فنبوليون اساء ايضاً في انهُ لم يترفَّع عن هذه الطفائف لاسيما وان شهرتهُ كانت قد طبَّقت الخافقين ورسَّخ لهُ في التاريخ اسماً لا ينالهُ كيد خصومهِ بمكروه. وهو احتجاج حسن

لاسيما وان اسم نبوليون كان قد صار فوق كل الالقاب . ويذكرنا هذا بما فعلهُ الامبراطور كارلس الخامس لما تنازل عن الملك وزهد بالدنيا فانهُ طلب ان لا يُلقَّب بعد ذلك بلقب الامبراطور وصنع ختمًا جديدًا عُطُلاً من صورة التاج . واهديت اليهِ مرةً طاقةً من الازهار فرفضها لانها كانت موضوعة في سلَّة عليها رسم التاج . ويُردُّ على ذلك بان كارلس ابن الملوك الصيد ورث الملك عن آبائهِ واجدادهِ فسواء تربع على عرش الملك او لم يتربع عليهِ فدم الملوك جارٍ في عروقهِ لا ينكرهُ احد عليهِ . وزد على ذلك انهُ كان قد زهد في الدنيا وطلب ان يصير راهبًا واما نبوليون فكان عصاميًّا وقد نال ما نال من الملك والسودد بقوة ذراعهِ وجنانهِ وكان لقب الامبراطور غاية ما بلغهُ بعد الجهد والعناء فلم يسهل عليهِ تركهُ اطاعة لعدو متنقم . وهو لم ينظر الى ذلك فقط بل نظر الى ما هو اهم منهُ واجلّ شأنًا وذلك انهُ حسب ان انكار هذا اللقب عليهِ اهانة للأُمَّة الفرنسوية التي لقَّبتهُ بهِ وانكار لحقها في اختيار ملكها ولسني المجد التي فتحتها في عهدهِ ولا يُقصَد بهذا الانكار الاَّ محو آثار ذلك المجد من تاريخ فرنسا . واذا لم يكن هو امبراطورًا فلا يكون جنرالاً لان الامة التي لقَّبتهُ امبراطورًا هي التي لقَّبتهُ جنرالاً . وموقف نبوليون في حجتهِ هذه ثابت لا يتزعزع

وقد قال السر ولتر سكوت ان نبوليون رضي ان يقيم في بلاد الانكليز متخفيًا (incognito) مثل الملك لويس الثامن عشر الذي سمى نفسهُ كونت ليل فلماذا لم يقم متخفيًا في جزيرة القديسة هيلانة . وردَّ اللورد روزبري عليهِ بقولهِ "ان نبوليون طلب ان يقيم متخفيًا في جزيرة القديسة هيلانة باسم الكولونل مويرون او باسم بارون دوروك ودامت المخابرة في ذلك مع السر هدسن لو عدة اسابيع . ويقال ان لو عرض على نبوليون ان يسمي نفسهُ "كونت ليون" وكاد نبوليون يقبل بهذا الاسم لو لم ينبههُ احد رجالهِ الى ان كونت ليون لقب لرئيس كنيسة ليون الكبرى فقال اذًا لا يحق لي ان انتحل لقبًا لغيري . واخيرًا ابت الوزارة الانكليزية على نبوليون ان يتلقب بلقب منتحل مهما كان لان الملوك يفعلون ذلك . فاللوم في كل ما حدث من مسألة اللقب عائد على الوزارة الانكليزية لا على نبوليون ولا على لو . ولما رأى لو ان المسألة لم تحل الغى كلمة جنرال من مكاتباتهِ وصار يسميهِ نبوليون بونابرت بلا لقب ولا كنية كأنهُ هي بن بي"

هذا وكل ما ذكرناهُ في هذه المقالة مقتطف من كتاب اللورد روزبري ولو لم نشر اليهِ في كل فقرة وسنتم الاقتطاف منهُ في الجزء التالي

المهاجرة الى اميركا

كتب الدكتور الن مكلولن من اطباء مصلحة الصحة في الولايات المتحدة الاميركية مقالة وجيزة في هذا الموضوع قال فيها : — كان الذين يؤمون الولايات المتحدة الاميركانية قصد استيطان ثغورها بعد معاهدة باريس التي عقدت سنة ١٧٨٣ يسمون بالمهاجرين . وكانوا يسمون قبل حرب الثورة بالمستعمرين والفرق بين التسميتين سياسي . فان المستعمر كان مهاجرًا يروم انشاء وطن جديد له في بلاد جديدة مع بقائهِ من رعايا وطنهِ الاصلي . واما المهاجر فكان يسعى الى تغيير رعويتهِ واستبدالها برعوية جديدة . ولا تزال حكومة ايطاليا الى الآن تعدُّ الايطاليين الذين هاجروا بلادها واستعمروا الولايات المتحدة ولم يغيروا جنسيتهم من جملة رعاياها . وهذا هو معظم الفرق بين المستعمر والمهاجر

ولم يكن في ذلك الزمان مدن كبيرة مزدحمة بالسكان يقصدها البهال كما هي الحال عليهِ في هذه الايام ولا كان هناك معامل كبيرة او مناجم تستدعي عمل العمال لان البلاد كانت براريَّ وحراجًا لم تطأها قدم انسان ماعدا منطقة ضيقة على الساحل وكان المهاجرون الاولون قومًا لا تثني لهم المصاعب همة ولا تلوي عزيمة فجتوا الجبال بيوتًا ومهدوا لهم سبلاً في قلب الغابات الكثيفة دون ان يرجوا اجرًا او شكورًا بل كل ما كان يندبهم الى العمل همة قصاه ورغبة في تأسيس وطن جديد يكفيهم مؤونة ما كانوا يلقون من الذل والنكد والاضطهاد في وطنهم القديم وعليهِ فقد كان المستعمر الاول حطابًا وفلاحًا ترك خلفهُ مشاقَّ كثيرة من مثل الخدمة العسكرية الالزامية والاضطهاد الديني والجبي والضرائب الثقيلة الحمل والحروب الاهلية . ونظام الاقطاعات ووجد في مقرهِ الجديد ملكًا مشاعًا واستقلالاً تامًّا لا يشوبهُ اضطهاد ولا ضغائن جنسية او دينية وحرية شخصية واحترامًا لحقوق الفرد بلا نظر الى مقامهِ الاجتماعي . فهذه المزايا الجليلة وامثالها حملت الالوف على المهاجرة حتى قدَّروا ان عدد الذين هاجروا الى الولايات المتحدة من اوربا بلغ ١٥٠ الفًا بين سنة ١٧٨٣ و سنة ١٨١٠ وكان معظمهم من الجزائر الانكليزية والباقون من الالمان والفرنسويين واهالي اسوج ونروج

ثم انقطع سيل المهاجرة او كاد من انكلترا بسبب اشتباكها مع الولايات المتحدة في حرب سنة ١٨١٢ ثم عادت المياه الى مجاريها بعد انتهاء الحرب فدخل الولايات المتحدة نحو ٢٠ الف مهاجر . وطغى السيل بين سنة ١٨٣١ و سنة ١٨٤٠ وجعل يزيد على التوالي حتى بلغ معظمهُ في العشرين سنة التالية وكان سبب الزيادة ابتلاء ارلندا بالجدب والقحط واشتداد ازمة

الصنّاع في المانيا وثورة سنة ١٨٤٨ واكتشاف مناجم الذهب في كليفورنيا

وبلغت مهاجرة الارلنديين الرسمي بين سنتي ١٨٤١ و ١٨٥٠ فكانت ٤٦ في المئة من مجموع المهاجرين ثم جعلت تنخفض حتى صارت ٤ في المئة . واما الالمان فما زالوا يهاجرون افواجاً حتى سنة ١٨٨٠ وما بعدها بسنوات قليلة فبلغوا حينئذٍ ٣٠ في المئة من مجموع المهاجرين ثم تناقص عددهم حتى بلغوا الآن ١٠ في المئة من المهاجرين . وقس على ذلك اهالي اسوج ونروج

ولما تناقص عدد المهاجرين من البلدان المذكورة اخذ عدد المهاجرين من ايطاليا والنمسا وروسيا يزيد فدخل الولايات المتحدة ٣٦٣١ ايطالياً و ٧٦٥٨ نمسوياً و ٨٩٨١ روسياً سنة ١٨٧٥ ثم زاد ذلك العدد زيادة عظيمة حتى بلغ عدد المهاجرين الايطاليين ٢٣٠٦٢٢ نفساً والنمسويين ٢٠٦٠٠١ والروس ١٣٦٠٩٣ سنة ١٩٠٣ اي ان عدد المهاجرين الايطاليين والنمسويين والروس كان ٩ في المئة من مجموع المهاجرين سنة ١٨٧٥ فصار اليوم نحو ٦٧ في المئة منهُ

وقد كان المهاجرون الاولون يختلفون كل الاختلاف عن مهاجري هذه الايام فان الاولين كانوا زرّاعاً وفلاحين كما سبق القول ولكن اكتشاف مناجم الفحم الحجري والحديد جعل الحاجة ماسّة الى صنف آخر من الناس يسمّى بالعمال وزادت الحاجة الى العمال بمد سكك الحديد في البلاد . ثم ان زيادة المعامل الصناعية جعلت مهرة الصنّاع ومهندسي الآلات الميكانيكية في كل قطر يهاجرون الى الولايات المتحدة افواجاً . فكانوا لازمين للبلاد في بادىء الامر . اما الآن فلا لزوم لهم بعد بل ان مزاحمتهم للصناع الاميركيين تضايق هؤلاء وتسدّ ابواب التكسب والارتزاق في وجوههم

هذا وان سرعة نماء المدن الكبيرة في الخمس والعشرين سنة الماضية حملت صنفاً آخر من الناس على المهاجرة وهو صنف الحَلَم الانساني الذي يعيش على غيره ولا يعتمد على نفسه في معيشته . وعليهِ يمكن قسمة المهاجرين الذين يهاجرون الى الولايات المتحدة هذه الايام الى اربعة اقسام . الاول الفلاحون . والثاني العمال . والثالث الصنّاع . والرابع الحَلَم . فالفلاحون يشتملون على الذين يعملون في المزارع والذين يستأجرون الاراضي او يشترونها قصد استغلالها والاقامة فيها . والعمال هم جميع الذين يعملون في المناجم والمعامل واعمال البناء العظيمة . وهذان القسمان لازمان ولاغنى عنهما لتقدم فلاحة البلاد وصناعتها . والقسم الثالث يشتمل على المهندسين الميكانيكيين وحذاق الصناع وارباب الحرف والمهن وغيرهم من الذين يهاجرون الى اميركا ويزاحمون الاميركيين في صنائعهم . وهو ليس لازماً لتقدم البلاد وقد لا يكون ذا قيمة

فيهِ . واما القسم الرابع فلا قيمة لهُ البتة كما يدل اسمهُ عليهِ بل انهُ مضرٌّ بجسم البلاد وهو يتضمن الحدّارين والشحاذين والبهّال وسائر الذين يتجمعون في المدن الكبيرة فلا يستطيعون عملاً يدنيًا شاقًّا او لا يريدونهُ فهؤلاء عبء ثقيل على عاتق المجتمع الانساني وضررهم بجسم الامة على نسبة عددهم

ويقال في الختام ان احوال اوربا الاجتماعية والسياسية تعين كمية المهاجرة الى اميركا وكيفيتها . فالبلاد التي حكومتها عادلة ورعيتها ناجحة لا يهاجر عدد كبير من اهلها منها والذين يهاجرون منهم هم من الطبقة الدنيا وذوي الفقر والمسكنة . وخير مثال لذلك المانيا فان اثراءها ونموَّ روح الوطنية في صدور الاهالي ورضاءهم عن حكومتهم كل ذلك قطع سيل المهاجرة منها الى اميركا او قلّلهُ كثيرًا . والذين يهاجرون منهم الآن دون الذين كانوا يهاجرون منذ ٢٥ سنة . وخير لاميركا ان يؤمها الفلاحون الاقوياء الابدان من بلدان معارفها قليلة من ان يؤمها فاسدو الاخلاق والمجرمون والمرضى بامراض معدية واصحاب العاهات من بلدان درجة العلم والمعارف فيها عالية مرتقية

واليوم يهاجرون الى اميركا الفلاحون كما كانوا يهاجرون اليها فيما مضى ويهاجر اليها العمال والبلاد محتاجة اليهم فتقبلهم على الرحب والسعة ويهاجر اليها ايضاً رغماً عنها كلُّ افّاق لا يستطيع المعيشة في غير المدن الكبيرة . انتهى كلام الدكتور مكلولن

وكأن الكاتب اشار في القسم الرابع من هذه الاقسام الى معظم الذين هاجروا الى اميركا من الشرق الادنى سواء كان ذلك من سورية او غيرها والى اكثر اليهود الذين هاجروا اليها من روسيا فان جمهورهم من اهل الطبقة الدنيا الذين لم يتعلموا ولم يتهذبوا

قلنا ان معظم الذين هاجروا الى اميركا كانوا على مثل ما وصفنا لا كلهم لان بين الذين هاجروا اليها عدداً عديداً من الذين كانت غايتهم من المهاجرة طلب الرزق بالوسائل القانونية وشعارهم الصدق والامانة في المعاملة ورأس مالهم العلم والتهذيب والفضائل التي تلقوها في الوطن وربوها في ديار الغربة . ومن هؤلاء من عاد الى وطنهِ لينفع قومهُ ومنهم من آثر البقاء في اميركا وتجنس بالجنسية الاميركية حاسباً ان وطن الانسان حيث يكتسب رزقهُ وينال حريتهُ ويأمن على نفسهِ ومالهِ . فامثال هؤلاء يجلهم الاميركيون ويحترمونهم ويحسبونهم منهم فيهم

على انهُ لو كان فقراء سورية يقصدون اميركا للعمل في ارضها او في معاملها لعدهم الاميركيون من القسمين الاولين اللذين قال الكاتب فيهما انهما لازمان للبلاد لاغنى لها

عنهما ولقدموهم على الذين يقصدونها للاتجار ولو كانوا اكثر منهم مالاً واسمى تربية واوفر تهذيباً وذلك ميسور لفلاحي سورية نظرًا الى اعتيادهم حراثة الارض والى تسهيل الحكومة الاميركية سبل الحراثة والزراعة في وجه كل من يريد احترافهما في بلادها

وقلنا الشرق الادنى احترازًا من الشرق الاقصى وخصوصاً الصين فان الصينيين يملأون اطراف الولايات المتحدة الاميركية ويحترفون بعض الحرف السهلة مثل كيّ الثياب وما اشبه ولكنهم يتقنونها حتى يسابقوا الاميركيين فيها ويسبقوهم لاسيما وانهم يقتضون اجرة اقل مما يطلبهُ الاميركيون لان نفقاتهم زهيدة لا تكاد تذكر في جنب نفقات الاميركيين فلذلك يكرههم هؤلاء ويعدونهم دخلاء متطفلين على موائد رزقهم . واذا كرهوهم فانما يكرهون فيهم تقتيرهم وقناعتهم بالقليل من الربح وتَسَطف معيشتهم

فعسى ان يهتم السوريون المهاجرون الى اميركا بابتياع الاراضي الزراعية واستغلالها كما فعلوا في هذا القطر فيعدوا من الطبقة الفضلى بين المهاجرين . لان الخيرات التي ينالها ارباب الزراعة يستخرجونها من التراب والماء والهواء فتصير بضاعة ثمينة بعد ان كانت ضائعة وتزيد بها ثروة البلاد وقوتها

اكليل الغار

— لكوكب البحار —

مرثاة للاميرال مكاروف بقلم تولستوي الفيلسوف الروسي الشهير نظمت ببعض تصرف اخذًا عن جريدة المحبة الغراء

أبكي ابا الهيجاء اوحد عصرهِ من كان غنم الدهر طاعةُ امرهِ
والنصر خادنهُ لآخر عمرهِ والآن جاء البحر مدرج قبرهِ
فيهِ مكاروفٌ ثوى بسلامِ
ذاك المحيط القاتم المتموجُ في عمقهِ الاجيال تلوًا تدرجُ
كيف احتوى من للخطوب يفرّجُ . ولدى الوغى بدم العداة يضرّجُ
و بيدهم بالصارم الصمصامِ
ولهُ اعدَّ النصرُ اكليلَ العلا ليبيت بالمجد الاثيل مكلّلا
وعليهِ شعب الروس بات معوّلا ورجوهُ بالاعدا البغاة منكّلا
فيردهم فرقًا بغير نظامِ

لكنما حكم القضاء لهُ انبرى وبغير ابطاء بنكبتهِ جرى
ما امهلتهُ الحادثات ليبهرا هذا الكيان وكلَّ افكار الورى
بالحزم والتدريب والاقدام

هل هابَ منهُ الدهرُ ضدًّا يقلقُ ام بات شخصُ الموت منهُ يفرَقُ
لما رآهُ وهو منهُ الاسبقُ لبلوغ ارواح العدى اذ يطبقُ
بجموعهم كالليث بالاغنام

أم أثقل الغبراء وازنُ مجدهِ فشكتْ قصورًا دون محمل جدهِ
فسما وطُهْرُ النفس اغرُ بُردهِ نحو السماء مخلفًا من بعدهِ
جثمانهُ فوق المحيط الطامي

ولذاك بات بهِ المحيط يفاخرُ ولحرصهِ اضحى عليهِ يحاذرُ
من ان تمُدَّ الى بهاهُ نواظرُ مع درّهِ في لجّهِ هو ذاخرُ
جسمًا ككنوزَ العالمين يسامي

هذي الطبيعة كاشفتهُ أمرها فرأتهُ متقدًّا ليكشف سرها
حذرُ العظيم من الاعاظم جرّها لحياتهِ الجلّى توجّهُ ضرّها
فعنا الجريءُ لنافذ الاحكام

اذ ان اسرار الطبيعة فائقهْ لغموضها تعنو العقول الرائقهْ
واذا رأيتم من امور شائقهْ فلتلك جاءتها عزائمُ صادقهْ
ان العظيمة من اخي الاعظام

الزيتُ من طول اشتعالٍ ينضبُ والفيضَ من نهرٍ جفافٌ يعقبُ
والنور من طول الانارة يغربُ وكذا حياة اخي العظائم تذهبُ
اذ يستضيق الارضَ كلُّ همامِ

يا من باسرار الحياة تحيّرا وعن البلوغ لكنهِ ذلك قصّرا
عبثًا تحاول كشف ما قد أضمرا ليستْ حياة المرء الاّ مظهرا
للوهم يتلوهُ الردى كختامِ

في كل عصر سابق ظنّ الملا ان الكمال لهم أتمّ وأكملا
بوسائل من ارضنا لهمُ انجلى أو جاءهم وحيًا يساق من العلا
لكن ترى يا معشر الانامِ

ابن الكمال لنا يزف حقائقه هل في قلوب بالقساوة دافقه
اضحت لسفك دم الخلائق عاشقه لا رحمةً ام في قلوب زنادقه
ياثارة الهيجاء ذات غرامِ
بل اين هاتيك المبادي الصالحه هل في ثغور بالتبسّم طافحه
عن السن بظبي المفاسد جارحه او اعين فيها الشراسة واضحه
ما بلّها دمع مدى الايامِ
وتنهّدُ البحر العميق وان علا زادت عليهِ تنهدات بني الملا
وسكونهُ ان طال ليس ليعدلا لسكون هاتيك الفرائس للبلا
تطفو عليهِ وهي ذات زحامِ
يا قبّة الافلاك هيّا أرعديه طول الزمان و بالسحابِ تلبدي
يا موجُ بالانواء دومًا ازبدِ ياريحُ هبي دون كل تقيّدِ
كزئير ليثٍ عاث بالانعامِ
يا كلّ اعاقٍ بهذي الابحر او فوقها بالضر فيضي وآزخري
وجميعَ ما بغني ويردي أحضريه بجميعُ هذي مثل عقدة خنصرِ
بازاء فتك معاشر الظلّامِ
نبذوا العهود وبالشرور تسلحوا ولبعضهم يعنًا جيوشًا سرّحوا
بالسخط والقتل الذريع تطوحوا لتمدن منهُ العواطف تجرحُ
لفساده بدلَ الضيا بقتامِ
ارض كساها الخصب اجمل حلّةٍ والريُّ غادرها بأكمل بهجةٍ
خيراتها وفرت لاهل الهمةِ كي يشكروا وهاب كل عطيّةٍ
وموزع الافضال والانعامِ
مالي اراها للابالس ملعبًا حصن حنالك شيّدوهُ مقببًا
وامامهُ حفروا الخنادق والظبي شهرت وتنظيم الدفاع ترتبًا
وتهيأوا لكريهةٍ وصدامِ
وبواسلٌ للقا العداة تجمهروا وسيوفهم باكفهم قد اشهروا
وضيا الفزالة فوقها يتسعرُ مرأى جميل للنواظر يبهرُ
فيهِ يرى المفتونُ ربّ هيامِ

وعليهم تلك الملابس أسطعُ والنفس من الحانهم تتشجعُ
حركاتهم حسب النظام توقّعُ وعلى رؤوسهم المغافر تلمعُ
فتزيدهم حسناً ورفع مقام

عزفوا بالحان هنالك شائقه وتلت قواطر بالكتائب دافقه
وعلى رؤوسهم البيارق خافقه وغدت باسرع من سقوط الصاعقه
ترمي البنادق مثل حب غمام

بدت البواتر والمدافع لعلعت ولحصد هاتيك المواكب أسرعت
ودم الخلائق كالبحار تجمعت الهام طارت والحشاشة قُطّعت
والقتل حلل دون بعض ملام

الخيل تصهل والمدافع ترعدُ وبنادقٌ نيرانها لاتبردُ
وصليل اسياف وثمة مشهدُ شبح الفنا والموت بات يعربدُ
بقبيح منظره على الاقوام

للتيصر المحبوب والاوطان لا تتوقفوا فالى الامام معجّلا
هذا شعارهمُ وآخر ما انجلى من قولهم لما احيطوا بالبلا
حيُّوا المنون تحيَّة البسّام

وصدورهم فتحت لنار عداتهم والبشر منطبع على جبهاتهم
ونجيعهم يجري على وجناتهم وخلالهُ يبدو نبا نصراتهم
ماحجبتهُ صفرة الاعدام

صاحوا لتيصرنا وحب مواطنٍ نحو الامام تقدموا بتعاونٍ
لبلادنا والملك دون تهاونٍ هجموا وقد داسوا بقلب ساكنٍ
قتلى لهم اشلاؤهم كركام

وطئت ركامهمُ الخيولُ بلا جزع وتخمس الفرسان ثم بها اندفع
فالى الامام الى الامام بلا هلع صوت المبوق والطبول قد انقطع
ودم الفوارس صبغة الاعلام

وهنت ايادي القوم من مشق الظبي ووهت عزائمهم ومركبهم كبا

لكنهم زادوا لذاك تصلّبا بلغوا حصوناً شيدت فوق الربى
من حولها الاشلاء كالآكام

اعمق ممتد السكون قد اخترق لمفٌ يصم الاذن بل يدمي الحدق
وصدور آلاف بأنّات الحرق هتفت بحشرجة المنية واندفق
منها النجيع باوجع الالام

ضوء المشاعل مذ بدا يتوقد برزت مراه للفرائص ترعد
أخوانِ كلٌّ منهما يتوسدُ زند الشقيق بهجة تتصعدُ
ويد تشد براية وحسام

وبكل صدر منهما قد اغمدا نصل لمقبضهِ اغارَ وانجدا
رهط الصليب هناك اسرع منجدا وجدوا صليبهما اشد توردا
وتوقداً فجثوا على الاقدام

صلّوا امامهما باوفر رهبةٍ فتحا عيونهما بكل مشقةٍ
هتفا بقولها لآخر مرةٍ لبلادنا ولملكنا ذي الرحمةِ
هيا بنا هيا بنا لامام

الليل خيم فوق هاتيك البقع والموت غشاها بجلباب الجزع
سحراً بها سرب الجوارح قد وقع لمدافن الابطال بالجوع اندفع
يلقى باشلاها الذّ طعام

رجل هناك مضرّج بدمائهِ فوق الثرى والسيف في احشائهِ
مع ضعف عينيهِ يرى بازائهِ جيش الجوارح همّ في اعضائهِ
يقتات من ذاك الفؤاد الدامي

اظفارها في جسمهِ قد اسرعت من فوق عظم الصدر لحماً مادعت
وكذا حشاشة قلبهِ العاني رعت وبدت ثقوبٌ في حشاهُ أودعت
من نار اعداهُ الرصاص الحامي

قد أنّ لكن ليس اذنٌ تسمعُ نادى فجاوبهُ نعيق يجزعُ
من سرب طير فوقهُ تتجمعُ كوليمة فيها الجوارح ترفعُ
ما بين لحم سائغ وعظام

وبصدرهِ النفس الاخير تصعدا وختام ما قد فاه فيهِ مرددا
لمواطني ولقيصري روحي الفدا فالى الامام الى الامام الى العدى
فالموت في صدرِ العداة مرامي

***

هذي الحروب وهذه اهوالها مهما تقلب بالنتائج حالها
للشعب حقًّا ضرها ووبالها ويل لمن يعزى لهُ اشغالها
فلاثمةٌ من افظع الآثام
ولهم غدا الوهم المضل يصورُ ان الردى فيها فخار اكبرُ
اذ خيلوهُ فضيلة لا تنكرُ بمسرةٍ وشجاعة تتسعرُ
كأس الردى ارتشفوا ككأس مدامِ
مهما تضاربت المذاهب في الورى سيفي امرها والنهي حتما كررا
فلها البقاء بكل عصر قدرا وجدت مع الانسان مذ وطئ الثرى
في عصر تنوير وعصر ظلامِ
فقروجها يجفاف اخر دمعةٍ اذ تنتهي للذاتِ كل محبةِ
وتزول بكل مطامع بشريةٍ هذا هو الانسان حسب الفطرةِ
تمّ الكمال لهُ من الاوهامِ
ان الكمال هو الحقيقة في البشرْ وحياتنا وهم فليس بمنتظرْ
ان يدرك الوهمُ الحقيقةَ فالفكرْ في الارض تأمل بالكمال لها ظفرْ
سقناله في عالم الاحلامِ
لا لا سيدركهُ متى العيش النضرْ وبقبرهِ اضحى يمازجهُ العدمْ
ويضيق من نوم يطول على الامْ ليعيش سيفي دار السعادة والنعمْ
حيث الحقيقة تزدهي بدوامِ

***

يكفيك في التيه احتمالاً للكدْ هيا مكاروف استرح حتى الابدْ
يكفي عنا يا نفسَ ذيّاك الاسدْ ثقل الحياة خلعتِ مع ثقل الجسدْ
ولكِ الكمال بدا بكل تمامِ
بجمال صورتهِ كسيت مجلاً وضيا الحقيقة بالكمال لك انجلى

معها امتزجت بلطف حسن قد حلا عظمت ملذتهُ لذلك في الملا
ما ادركتهُ مدارك الافهام

فالآن انت الكوكب المتألقُ بسما الفضاء لك السناء المشرقُ
باشعة ذهبية تتدفقُ ارشد نفوساً بالشقا تتحرّقُ
في مرمج لتزاحم وخصام

في مدلهمّ الكون تائهة الفكرْ فمن الكمال أعد لها بعض الصورْ
لشيتَ مدركةً لبعض المنتظرْ من بهجة سموية فيها الظفرْ
لك في العلا منقادةً بزمام

فلك المنا يا خير نفس طاهرهْ يا ذات هاتيك المزايا الباهرهْ
ان كانت الافكار مني قاصرهْ في وصفها فالنفس منا حائرهْ
بالوهم ظل محابس الاجسام

هذا وانتِ طليقة بتحررِ ليست تقيد في الفضاء الاكبرِ
خوضي بحار اللا نهايةِ واخبريـ والتيهَ والاخطارَ لا تتحذري
كلاً ولا تخشي من الالغام

واذا جرت سفن الحياة الطائرهْ في موج ابحار الوجود الزاخرهْ
وغدا القتام لها يجر مخاطرهْ واليك قد رفعت عيوناً غائرهْ
من داجيات الهم والاسقام

فاجعل لمرساها الامين لها هدى بشعاع نور من سناك توقدا
فجميع من فيها يغبطّ للمدى لك كوكب الابحار ذكرًا امجدا
ثردادهُ الذاكي كنشر خزام

بك يقتدون فيبذلون الانفسا وتدوم انت مبيناً ومدرّسا
حق المواطن كي نراهُ مقدّسا وعلى المدى ذكراك ليست تُنتسى
ذكرى هام باسل مقدام

بسبيل امتهِ وملك بلادهِ في الحرب قد سفكت دماه فؤادهِ
ويرى امتداد الكون في آمادهِ بك كوكباً لم يخبُ نور سدادهِ
مجداً لامتهِ مدى الايام

أُذن الانسان

وتعليل عدم حركتها

نشر الدكتور ولتر سمث من اساتذة مدرسة لايك فورست مقالة في هذا الموضوع في مجلة العلم العام الاميركية قال فيها ما خلاصتهُ

حديث الاذن حديث ذو شجون وتاريخها مختلف الوجوه . سَلْ عالمًا من علماء النشوء والارتقاء يخبرك ان اصل فتحة الاذن في الانسان فتحة خيشوم الدعموص الذي ارتقى الانسان منهُ وان المادة الغضروفية التي تتألف الاذن فيها نمت على سطح الرأس الخارجي وجهزت بعضلات مخالفة لتغير حركتها وتكيف شكلها كما في الفرس مثلاً فان اذنيهِ تتحركان مثل عينيهِ بل هما اسهل حركة منهما ويمكن تحريك كل منهما في جهة مختلفة بخلاف العينين كان الطبيعة قصدت قديمًا ان تكون اذنا جدِّ الانسان مثل اذني الفرس من حيث سهولة حركتهما فجهزتهما بالمادة الغضروفية والعضلات اللازمة لتحريكهما ولكنها غيرت فيما بعد قصدها فاستردت ما وهبت. نعم ان المادة الغضروفية باقية حيث كانت ولكن قوة التحريك زالت. ومن الناس من يستطيع تحريك اذنيهِ ببعض التحريك الاَّ ان ذلك يوجب اشمئزاز المشاهدين ونفورهم لندورهِ وخروجهِ عن حدّ المألوف

وربَّ سائل يسأل لماذا فقد الانسان قوة تحريك اذنيهِ . أيعد ذلك تقهقرًا في سلَّم الارتقاء ام خسر تلك القوة ليربح امرًا اعظم لا يمكن ربحهُ بلا تلك الخسارة . وعندي انهُ يمكن الاستدلال على اسباب التغير الذي طرأ على الاذن وعلى ان الانسان ربح ربحًا عقليًّا لاتعدُّ الخسارة شيئًا في جنبهِ . ولتبيين ذلك الربح نبحث اولاً في ما خسرهُ الانسان من المزايا على اثر فقد الاذن لحركتها واهمية تلك الخسارة تتضح من مقابلة الاذن بالعين . فان العين دائمة التحرك وعلى ذلك يترتب امران مهمان الاول انهُ يمكن تحريك العين من جهة الى اخرى عند ارادة فحص الاشياء ونقدها . وليست اقسام العين المختلفة على نسبة واحدة في قوة البصر بل ان القسم الاوسط منها احدُّ بصرًا من الاطراف . وعليهِ فاذا اراد احد التحديق الى شيء غير مواجه لهُ ادار عينيهِ نحوهُ لتقع اشعة النور الخارجة منهُ على القسم الاوسط منهما . وهذا التغيير في حركة العين يتمُّ بالسرعة والدقة اللازمتين ويعين العين على اتمام الغرض المقصود منها

والامر الثاني المترتب على تحرك العين رؤيتها ما يقع تحت نظرها المتسع بغاية الترتيب

والانتظام . وقد يظهر ان علمنا بمركز الاشياء النسبي انما هو طبيعيٌّ او غريزيٌّ فان كثيرًا من صغار الحيوانات ترشد خطواتها بنفسها من حين ولادتها فتأمن العثار والزلل بخلاف طفل الانسان . نعم ان في جهاز الطفل العصبي استعدادًا لادارة حركاتهِ المستقبلة ولكنهُ لا يستطيع ان يكيف حركاتهِ مطاوعة للوسط المحيط بهِ كما يفعل فرخ الدجاجة مثلاً بل يدرك علاقتهُ بالاشياء الخارجية بالتعلُّم والاختبار . ولسنا نعلم ماهية شعور الطفل بالنور لاوّل رؤيتهِ اياهُ ولكنَّ بعض شعورنا العادي يقاربهُ فقد قال احد العلماء الالمانيين ان شعورنا باللون عند تحديقنا الى اللون الازرق في قبة السماء يشبهُ صوتًا موسيقيًّا اي اننا نشعر باللون فقط ولا نتصوَّر مكانًا لهُ والمرجح ان شعورنا بالمناظر التي حولنا لاول رؤيتنا لها يشبه ذلك الشعور . ولو كانت العين ساكنة لا تتحرك لما رأت من الاشياح التي حولها سوى الوان متتابعة . ولكن اذا كانت تتحرك وتنتقل بين الالوان فانها تمرُّ من صورة الباب الى صورة الجدار فالشباك وهلمَّ جرًّا فيرتسم في الذهن سلسلة صور معروضة للنظر على الدوام ومرتبة ترتيبًا محدودًا . وعليهِ فان شعورنا بالاشياح التي حولنا منتظمة ومرتبة مسببٌ عن تحرُّك العينين

ومثل ذلك يقال في حاسة اللمس فاننا ندرك حجم الاشياح التي نلمسها بتداول الانامل لها ولا ندرك العلاقة المكانية التي بين تلك الاشياح إلاَّ بلمسها مرارًا طردًا وعكسًا

اما الاذن البشرية فانها ثابتة لا تتحرك وعليهِ فهي لا تستطيع ان تأتي حركات معكوسة لاستقبال الاصوات مثل الحركات التي تدير العين من موضعها سريعًا لتستقبل اشعة النور الصادرة عن المرئيات . ثم ان تصوُّر المكان بالصوت تصوُّر صعب جدًّا حتى انكر كثيرون ان للصوت صفة مكانية ولكن لايمكن اثبات ذلك لاننا نستطيع تعيين مكان الصوت وندرك ما اذا كان عن يميننا او يسارنا او خلفنا او امامنا وكذلك ندرك اختلاف حجم الاصوات . على ان ادراك صفة الصوت المكانية لا يقاس بحاستي اللون واللمس في دقتهما وجلاء حدودها فما هو حجم الرعد مثلاً . نعم ان هذا السؤال يظهر بلا معنى لاول وهلة ولكنهُ ليس خاليًا من المعنى كما يظن فاننا نقول مثلاً ان دمدمة الرعد ملأت السماء . وسبب ظهور السؤال المذكور بلا معنى هو غموض صورة الصوت من حيث الاتساع

واذا حللنا هذا الغموض وجدنا اننا نقدر ان تعيين مكان الصوت تمامًا بسبب عدم تحرك الاذن . وكلنا نعلم ما هناك من الصعوبة في تعيين جهة الصوت الغريب الاَّ اذا ساعدت العين الاذن على ذلك . فان صوت جرس الدرَّاجة يتركنا حائرين لاندري من اين اتى حتى نرى الدراجة باعيننا وكثيرًا مايحدث اننا نسمع الصوت لامن جهة الجسم الصائت بل من

الجهة المقابلة لهُ. فيرى من ذلك ان الاذن لا تقابل بالعين من حيث الدقة والضبط في تعيين الجهة . وان نقدها للعضلات التي تديرها لاستقبال امواج الهواء من حيث تأتي افضى الى نقصها الحاضر في تعيين مركز الصوت وباتت خسارتها مزدوجة . فالخسارة الاولى تظهر من قول دارون " ان توجيه كثير من الحيوانات آذانها الى جميع الجهات يفيدها اكبر فائدة لانها تعرف بهِ جهة الخطر وتسعى في اتقائهِ " والخسارة الثانية لها علاقة شديدة بالاولى فانهُ لو كانت الاذن متحركة مثل العين والانامل لا شبهتهما في ترتيب الصور المكانية التي تحدثها وفي جلاء حدودها ولو لم تبلغ مبلغهما في ذلك

على ان دارون يرى ان الانسان كسب مزية تعوّض بعض ما خسرهُ بفقد الاذن لحركتها وتلك المزية هي زيادة السهولة في تحريكهِ رأسهُ الى جميع الجهات . نعم ان حركة الرأس تعين على البصر والسمع ولكنها لا توازي حركة اعضاء الحواس نفسها . فان الرجل الذي تصاب رجلاهُ بالشلل قلما يتعزى عن مصابهِ بتعيين حمال خصوصيّ لهُ يحملهُ حيث شاء . ومما يجب الالتفات اليهِ في هذا الصدد ان العين تتمتع بحركات الرأس وهي لم تفقد حركتها

ولننتقل الآن الى البحث في الربح العقلي الذي تنتج عن تلك الخسارة وهذا الربح هو الانتباه لتوالي الاصوات فان الصوت يقع فجأة على آذاننا ثم يزول و يتلوهُ آخر يختلف عنهُ في صفتهِ فندرك الصوتين ونميز بينهما . واذا اصغينا الى جسم صائت انحصر اهتمامنا في الانتباه لاصواتهِ المتتابعة . وهذا يتضح من سماعنا للخطب التي تتلى امامنا فاننا نسمع اصواتاً تحدث في وقت واحد تقريباً ولكن الخاصة الغالبة من خصائص شعورنا بها هي ان تنوعها يحدث في سلسلة متتابعة . فالسمع اذاً حاسة زمانية اي يُدرَك بهِ زمان الاصوات ولو بقيت الاذن متحركة لكان السمع حاسة مكانية تُدرك اماكن الاصوات ولكن لا يُدرَك زمنها بل تُدرَك كأنها حدثت في وقت واحد

هذا من جهة شعور الاذن بالاصوات . واما من جهة شعور العين بالمرئيات فاننا ننظر الى شبح من الاشباح ومادمنا ننظر اليهِ فان شكلهُ يبقى واحداً لا يتغير وقد يظهر انهُ لم يتغير ولو نظرنا اليهِ بعد يوم او شهر او سنة . على ان العين تميز مايطرأ على بعض الاشباح من التغير فاننا كثيراً ما نرى سحب الصيف تتكون ثم تضمحلّ في السماء واغصان الاشجار تتحرك من جهة الى اخرى ولكن البصر حاسة مكانية واهتمام العين انما هو بالاشكال وعلاقتها بعضها ببعض بخلاف الاذن فانها عضو حاسة زمانية . فلو فرض ان العين مُرّنت لتهتم اهتماماً خصوصيًّا بالتغيير الذي يطرأ على الاشباح التي امامها لوجب ان تمتنع عن الحركة وان تبقى محدقة الى تلك الاشباح

والصور والاشكال الخصوصية التي يتخذها تتابع الاصوات وتشعر الاذن بها ولّدت اللغة والموسيقى . فاللغة مؤلفة من اصوات متتابعة وفائدتها تفوق كل وصف ويتلوها الموسيقى فان ماتشعر بهِ من الارتياح للانغام الموسيقية يتوقف على الشعور بتتابع الاصوات

وربّ معترض يسأل وما قولكم في الحيوانات الدنيا التي ليس لها آذان خارجية او لها آذان لاتتحرك . وفي الجواب على هذا السؤال يلزمنا ان نميز بين الحيوانات التي لم يكن لها آذان متحركة البتة وبين الحيوانات التي كان لها آذان متحركة ثم فقدت آذانها حركتها فان كلامنا متجه الى هذه الاخيرة اما الطيور التي لم يكن لها آذان متحركة فانها شديدة السمع ومعلوم انها شديدة الولع بالموسيقى فهي كالانسان من هذا القبيل لان آذانها ثابتة فتدرك تتابع الاصوات . ومما يذكر هنا ان كثيرًا من الطيور تقلد الاصوات حتى صوت الانسان وهي وان تكن لاتدرك معنى ما تقلدهُ ولكنها تدرك تتابع الاصوات

وقد يظهر لاول وهلة ان السعدان والقرد شذّا عن القاعدة المتقدمة فانهما فقدا قوة تحريك الاذن مثل الانسان ولكنهما لايستطيعان النطق مثلهُ . واذا كان ذلك كذلك فانهما فقدا شيئًا لم ينالا عوضًا عنهُ كما نال الانسان . ولكن لايغرب عن البال ان العلماء العقليين لايزالون يجهلون امورًا كثيرة عن حياة القرود العقلية فان بعض انواع القرود تجتمع جماعات تأخذ في الصياح معًا وتلتذ بهِ وهي لا تصيح قصد طرد العدو عنها بل تفعل ذلك عن تروّ قصد الغناء وزعيمها يبدأ اللحن . ثم ان السعادين تاتي اصواتًا أخرى غير ما تقدم تدلُّ على ادراكها للاصوات . ذكر الاستاذ هيكل انهُ سمع بعض القرود تصوت اصواتًا غريبة تشبه بعض الاصوات التي ينطق بها قبائل البوشمان عند الكلام . وكتب المستر غارنر مقالة في "كلام السعادين" قال فيها ان الاصوات التي تحدثها السعادين هي اصوات ذات مقاطع وصادرة عن تروّ وقصد . والسعادين توجهها دائمًا الى فرد معين بقصد افهامهِ اياها على ما يظهر . ثم تنتظر الجواب فاذا لم تظفر بهِ كررت الاصوات مرارًا . وهي تنظر عادة الى الشخص الذي تخاطبهُ ولا تحدث تلك الاصوات اذا كانت منفردة او قصد التسلية . وتفهم الاصوات الصادرة عن السعادين التي من نوعها حتى اذا قلدها الانسان . والغالب ان كل عمل من اعمال السعادين يصحبهُ صوت خاص بهِ . وقال المستر غارنر في مؤلف آخر الفهُ بعد ان درس طبائع القرود في مواطنها الاصلية ان الشمبانزي ينطق بخمس وعشرين كلمة الى ثلاثين كلمة وقد ادعى انهُ تعلم عشرًا منها حتى انهُ يستطيع ان يخاطب القرود بها

ووصف المستر رومانس كيفية غناء القرد المعروف بالشمبانزي فقال ان اغنيتهُ مؤلفة من

صعقات وصيحات سريعة عالية يرددها وهو يفحص الارض برجليهِ . وقال دارون ان نوعين من القرد المعروف بالجيبون يستطيمان الغناء

ومما يهمُّ ذكرهُ في الكلام على ترقية قوى النطق في القرود ان القرود متقدمة على مادونها من الحيوانات في احوالها الاجتماعية كما يشهد بذلك السياح والذين عنوا بتربيتها . ولكن معرفتنا لتلك الاحوال ناقصة وما نعرفهُ منها كافٍ لان يدلنا على ان صفة الاجتماع فيها وثيقة العرى . وحيث تكون الحياة الاجتماعية كذلك فهناك يترقى استعمال الاصوات . ويظهر لاول وهلة ان ما ربحتهُ القرود في استعمال اصواتها لا يساوي مافقدتهُ بسبب تغير آذانها وصيرورتها غير متحركة ولكن لا يمكن الجزم بذلك نظرًا الى ما لترقية قوة النطق من الاهمية

وخلاصة ما تقدم ان فقد الاذن لحركتها افضى الى زيادة الانتباه لتوالي الاصوات وانتهى باستعمال اللغة والموسيقى . وان شكل الاذن كان ملائمًا في بادىء الامر للوسط المحيط بها فتغير فيما بعد مطاوعة لشروط الارتقاء في درجاتهِ التي هي اسمى وارقى . ولا ريب ان شكلها الحاضر اكثر ملاءمة للقيام بالمطالب العقلية العليا

بنك رويستون

ان سبيل الشر لا يخلو من معالم الخير ولاسيما في اولهِ وهذا ماراآه النهام فان محبة زوجتهِ وابنتهِ لهُ والنظر الى مقامهِ بين اقرانهِ شغلا بالهُ تلك الليلة واليوم التالي ليصرفاهُ عما عقد نيتهُ عليهِ . وكأن ابنتهُ لم تتودد اليهِ قبلاً كما توددت تلك الليلة ولم تعرب عما يكنهُ قلبها لهُ من الحب والاكرام كما اعربت حينئذٍ حتى خيل لهُ احيانًا انها عارفة ماقي ضميرهِ وتريد صرفهُ عنهُ . وقامت في الصباح واحضرت لهُ الطعام على جاري عادتها لان امها تتأخر في نومها عادةً وجعلت تصف مقدار حبها لهُ وشكرها على تربيتهِ اياها وقالت انها اتفقت مع خطيبها على ان لا يأخذا منهُ درهمًا بل يعيشا بكدهما لان معيشة الفقر تزيد تعلق كلٍّ منهما بالآخر والاعتماد على محبتهِ . فقال لها هل يضرك ان اعطيك في آخر كل سنة بضعة الوف من الريالات لتسديد حسابات السنة قال ذلك وهو يحاول المزاح فطوقتهُ بذراعيها وقالت لهُ كلاَّ يا ابي ولا نريد ان نعلق قلوبنا على المال لانهُ لا يسعد احدًا هوذا انت غنيٌّ وعندك اموال كثيرة ولكنني لا اراك اسعد حالاً من غيرك . اني احبك الآن من كل قلبي ولكن لو كنت فقيرًا لزادت محبتي لك اضعافًا

فلما سمع منها هذا الكلام ضاقت انفاسهُ وكاد يغمى عليهِ ولكنهُ تجلَّد وودعها وخرج من البيت قبل ميعاد خروجهِ منهُ ولم يكد يخرج حتى التقى باثنين من مديري البنك فقالا لهُ انهما أتيا ليذكراهُ بانهُ مضى على البنك خمس وعشرون سنة حينئذٍ وقد قرَّ قرارهم في مجلسهم الاخير على ان يحتفلوا بذلك تلك الليلة وطلبوا منهُ ان يحضر الاحتفال ليقدموا لهُ فيهِ تذكاراً يدلُّ على شكرهم لهُ لان البنك نجح بادارتهِ نجاحاً تامًّا ثم صافحاهُ وسارا وهما يقولان الى اللقاء . فودعهما واذا بصوت من داخلٍ يقول لهُ اعترف لهما بواقعة الحال واخبرهما عمَّا حل بالبنك وارح ضميرك ولا ترتكب هذا الوزر العظيم . هذا صوت الضمير هبَّ من رقادهِ وحاول الانتصار عليهِ فلم يصغ اليهِ بل قال قضي الامر

وعند الظهر ارسل يطلب غداءهُ من البيت ولم يشأ ان يعود ويتغدَّى فيهِ على جاري عادتهِ . ودخل عليهِ كثيري حينئذٍ وقال انهُ يهتم باسم البنك اكثر مما يهتم بأمر نفسهِ وان الاجرة التي يأخذها تزيد على حاجاتهِ وقد وفَّر منهُ مبلغاً وزادهُ ببعض الاشغال التجارية فبلغ عشرين الف ريال وهو على قلتهِ بالنسبة الى ديون البنك يسد ثغرة صغيرة وكم من حصاة صغيرة سدت خابية كبيرة . وانهُ بلغتهُ اشاعات مؤدَّاها ان البنك في خطر مبين

فضاق صدر النهام وقال لهُ اليك عني هذا الفضول المتجهل من انا حتى تأتيني بالاشاعات والخرافات ألم اقل لك انهُ لا خوف علينا أو تظن ان اللصوص عقدوا النية على سلبنا والأمم تخاف أو تريد ان تقدم لي نقودك لكي تسدَّ بها الثغرة التي ولدتها اوهامك

فاحمرَّ وجه كثيري لكنهُ قال ارجو ان لا تغتاظ مني لاني لم اقصد ان اغيظك وغاية ما اتمناهُ في هذه الدنيا ان اخدمك فاسمح لي ان ادفع المبلغ الطفيف الى البنك فانهُ لا يضرهُ

فضحك النهام ضحكة الاستهزاء لكنهُ لم يرَ لهُ سبباً الاَّ بان يكذب على صرَّافهِ فقال لهُ اني شاكر لك على ما تبديهِ من الغيرة ولكن اجلس واسمع ما اقولهُ لك ولم اقلهُ قبلاً لاني احسب انهُ ليس من شأنك ولكنني ارى الآن ان ثقتي بك تخولني اطلاعك عليهِ . انظر هذا الدرج فان فيهِ ما يساوي مليونين ونصف مليون من الاوراق المالية وهي مثل نقود الحجر تماماً وسأضعها اليوم في خزانة البنك بيدي . نعم ان البنك عمل اعمالاً كبيرة خسر فيها ولكنهُ عمل اعمالاً اخرى ربح منها كثيراً ونحن الآن في سعة اكثر مما كنا في اي وقت آخر ولا اقول اننا بمأمن من كل خطر ولكنني اقول واؤكد اننا في سعة . كان يجب ان لا اخبرك بهذا الامر لا سيما واني لم اخبر المديرين بهِ فارجو ان لا تخبر بهِ احداً . ولماذا لا تزال عابساً تعال للعشاء معنا غداً فان بنتك يكون في نيويورك لحضور الجمعية الطبية . ولا تكلمني بعد

الآن عن ضيقة البنك والاموال التي وفّرتها . اذهب الآن بسلام

فخرج كلثري وبقي النهام وحدهُ وقد تشدَّد وقسي قلبهُ واسكت ضميرهُ

اما كلثري فخرج من عند المدير غير مطمئن البال نعم ان المدير نفى خوفهُ من جهة واحدة ولكنهُ كان قد سمع ان اثنين من اللصوص المشهورين بسرقة البنوك جاء المدينة منذ يومين . سمع هذا الخبر متسلسلاً معنعناً من صديق لهُ مستخدم في شركة الضمانات وهذا سمع الخبر من صديق لهُ في دائرة البوليس السري ومفاد الخبر ان اثنين من اللصوص الكبار خرجا من نيويورك ووجهتهما تلك المدينة . وقد يكون الخبر كاذباً ولذلك لم يتجاسر ان يخبر المدير بتفاصيلهِ ولكنهُ لم يستطع ان ينفيهُ من ذهنهِ فطار النوم من عينيهِ تلك الليلة وقام وخرج من غرفتهِ ومشى في طريق البنك وكان الفصل صيفاً ولكن كان الظلام دامساً لانهُ لم يكن القمر مشرقاً وكانت الغيوم كثيرة متلبدة قرب الافق وكان الى جانب البنك بناء كبير خرج السكان منهُ لان اصحابهُ عزموا على هدمهِ وكانت ابوابهُ مفتوحة والخارج من البنك يستطيع ان يمرّ فيها فيصل الى الشارع المقابل بطريق مختصر

وهناك حارس موقفهُ امام باب البنك وغير من رجال البوليس يمشي في ذلك الشارع ذهاباً واياباً فيصل الى باب البنك مرة كل عشر دقائق . فوقف كلثري هناك هنيهة ولم يرَ الحارس ولا رأى الغفير فاستغرب ذلك واوجس شرًّا ثم سمع وقع الخطى فوقف في مكانهِ وبعد قليل وصل الماشي اليهِ واذا هو الدكتور بنتنك خطيب اوليا كان راجعاً من عيادة مريض فلما رأى كلثري خاطبهُ قائلاً ما اوصلك الى هنا بعد نصف الليل أانشغال البال او الحاجة الى استنشاق الهواء النقي . وكان صوتهُ رنانًا مطربًا فانعش فؤاد كلثري وكان كلثري عادلاً يتصف الناس وقد رأى من حسن شمائل هذا الشاب ماحببهُ اليهِ رغماً عن انهُ اخذ الفتاة التي يحبها فقال لهُ ان بالي مشغول من جهة البنك فقد بلغني ان عصبة من اللصوص اتت هذه المدينة ولا ارى الحارس ولا الغفير ولا يخلو الامر من دسيسة على ما اظن

فنظر اليهِ بنتنك وقال باسماً اتظن ان اللصوص في البنك الآن

فقال كلثري ان نفسي تحدثني بالدخول ليطمئن بالي

فقال بنتنك اسمح لي اذًا ان ادخل معك فان اثنين اصلح من واحد وقد كان لي بعض الشأن في الصراع ونحن في المدرسة فهل المفاتيح معك

فقال كلثري اني شاكر فضلك نعم اني واثق بان لا اساس لاوهامي ولكن ما الحيلة وانا

لا استطيع طردها ولا ضرر من الحذر فاذا اردت فتعال معي . قال ذلك وفتح الباب ودخل هو وبنتنك

***

اتمّ دكستر غون تدبيرهُ على غاية الاحكام كما يفعل القوّاد المحنكون فرشا الحارس وتخلص منهُ وسلط على الغفير شابًّا ارلنديًّا من قومهِ جاء يدّعي ان عندهُ نقودًا ويريد ان يستشيرهُ في كيف يبتاع بها وظيفة في البوليس فقضى معهُ ساعات في خان قريب من البنك واتى غون الى البنك ومعهُ رجل واحد من اتباعهِ ففتحاهُ واخذا يعالجان الخزانة وهي كبيرة كالحصن المشيد ولكنها غير مصنوعة حسب الاساليب الحديثة فلا يتعذر فتحها بالمثقب والعفريت . وفي اقل من ربع ساعة فتحا بابها وقد تعبا في ذلك تعبًا كبيرًا وتصبّب جبيناهما عرقًا ولكنهما لم يحسبا للتعب حسابًا لان امامهما ثروة تغنيهما وتأذن لهما بالسكن في بلاد المكسيك او شيلي آمنين مطمئنين بالراحة والهناء

ولما فتحت الخزنة قال رفيق غون ما اسهل فتحها عار علينا ان نأخذ شيئًا منها ونحن لم نتعب لهُ . فقال لهُ غون ما ادرانا مافيها لانني لا اصدق ما قالهُ لي ذلك المنافق

ومرّت عليهما بضع دقائق وهما يفتحان دروج الخزنة وما فيها من الاوراق فلم يريا شيئًا من الاوراق المالية واخيرًا قال رفيق غون هو ذا اوراق بثلثمئة ريال . فقال أثلثمئة فقط واين البقية وعاودا التفتيش فافرغا الخزنة كلها من كل مافيها ولم يجدا فيها غير الثلاثمئة ريال ووقفا وكلٌّ منهما ينظر الى رفيقهِ مبهوتًا . واخيرًا جعل رفيق غون يشتم ويلعن وقال غون لقد خدعتنا يا النهام ولكنك ستندم حيث لاينفع الندم انت الآن عند الموسرين تشرب كؤوس المسرات ولكنني ساسقيك دمًا قبل رجوعك الى بيتك . ولم يكد يفرغ من الكلام حتى صرخ رفيقهُ قائلاً "انوا علينا" وحاول اغلاق الباب لكن بنتنك كان من الاشداء المشهورين فدفع الباب بكتفهِ ومنع اغلاقهُ فضربهُ اللص بمطرقة كانت في يدهِ فحاد من طريقها فاصابت رأس كلثري وكادت تصرعهُ ثم هرب وفتح بابًا سريًّا في مؤخر البنك وخرج منهُ وترك غون وحدهُ فقال بنتنك لغون سلّم لنا فتسلم . وكانت عيناهُ تتلألآن في وجه ملئهُ البشر وبين اعطاف كلها قوة وبسالة وكأنهُ وهو كالجواد المتحفز للسباق

فقال لهُ غون اليك عني ايها الشاب فلا ثار لي عليك ولا اريد بك سوءًا دعني اذهب بسلام فانا لم نأخذ شيئًا من البنك

وكان بنتنك واثقًا من نفسهِ انهُ خبير بفن الصراع فدنا من غون فرآهُ يضع يدهُ في

جيبه حيث يوضع المسدّس عادةً ووقف الاثنان متقابلين وغون اقوى من بنتلك كثيرًا ولكن بنتلك امهر منهُ بفنون المصارعة فتماسكا وتصارعا فصُرع غون ووقع تحت بنتلك وقبض بنتلك على خناق غون وكاد يخنقهُ ولما وقع غون اتت يدهُ اليمنى تحتهُ فجمّع قوتهُ واخرجها من تحتهِ وتناول بها مسدسهُ وقال لبنتلك اتركني حتى اذهب بسلام فقال لهُ بنتلك لا اتركك فوضع المسدس في صدرهِ واطلقهُ فاصاب منهُ مقتلاً فانحلت يدا بنتلك ورماهُ غون عنهُ ونهض ونهض كلفري حينئذٍ وهجم عليهِ فرفسهُ برجلهِ على ساقيهِ فالقاهُ على ظهرهِ وخرج

ونهض كلفري فرأى نفسهُ وحدهُ مع القتيل فقال اواه لماذا لم يقتلني لقد عرفتهُ يا الهي يا الهي

***

عاد النهام تلك الليلة من الوليمة بعد نصف الليل وفي جيبهِ صحيفة من الفضة عليها كتابة منقوشة تعرب عن شكر مجلس المديرين لهُ لكي تبقى تذكارًا لاولادهِ من بعدهِ . وقف في ذلك الاحتفال مبالغًا في البشاشة وطلاقة الوجه وخطب خطبة اختلب الالباب بفصاحتها ونكاتها جوابًا للخطب التي قدمت لهُ . وفتح ساعتهُ وهو راجع الى بيتهِ وقال ترى هل قضي الامر وعزم ان يمرّ في الشارع الذي فيهِ البنك ولو طالت بهِ الطريق ليرى ماجرى . جسارة لا تستغرب من طوّح نفسهُ في الشر مثلهُ . ولما دنا من شارع البنك رأى رجلاً مارًّا في شارع آخر مقاطع وهو غون نفسهُ ولو اسرع قليلاً لا لتقى بهِ ولكن قدرت لهُ النجاة منهُ لان غون كان عازمًا على الفتك بهِ

ووقف امام البنك وهو يقول في نفسهِ لقد كلت لهذا اللص الصاع صاعين على اهانتهِ لي فاخذ حشفًا وسوء كيلة ولا يستطيع الشكوى والاموال التي سرقتها من اللص تقضي حاجاتي في الاسابيع الاولى الى ان يتدبر امر البنك قال ذلك وسار في طريقهِ . وكان كلفري في غضون ذلك يجمع مابقي فيهِ من الرمق ليخرج من البنك وينادي الحراس فخرج ونادى ولكن النهام كان قد ابعد عنهُ فلم يسمع صوتهُ

ولما وصل النهام الى بيتهِ فتح الباب خلسة ودخل غرفتهُ واتكأ في سريرهِ يضرب اخماسًا لاسداس وهو عالم ان الناس كلهم يرثون لهُ فترد عليهِ رسائل التعازي من كل مكان ويقوم المديرون فيعقدون الاجتماع بعد الاجتماع واخيرًا يجمعون لهُ مالاً كافيًا ويعيدون انشاء البنك ويقونهُ مديرًا لهُ . وتتزوج اولبيا في الخريف وتمضي مع زوجها للنزهة في اوربا ثم يتبعهما ويستريح من عناء الاشغال . فبدا السرور على وجههِ واسلم نفسهُ للنوم

وقامت اولبيا في الصباح على جاري عادتها وخرجت الى الرواق تستنشق رائحة الورد

وتنتظر خطيبها ليمرّ بها فتحييهُ وتعطيهُ اجمل وردة عندها . وقطفت الوردة ووقفت في انتظاره لكنهُ لم يمرّ بها في الوقت المعتاد ثم مرّ احد باعة الجرائد التي تصدر في الصباح فلما رآها دُعِر منها والقى جريدة امامها وسار مسرعًا فاستغربت ذلك منهُ وتناولت الجريدة بيدها ودخلت لتعطيها لابيها وفتحتها في الطريق ونظرت فيها فرأت عنوان المقالة الاولى بحروف سوداء كبيرة فقرأتهُ ووقفت جامدة كالصنم وهي تظن ان عينيها خدعتاها وضعفت يداها عن حمل الجريدة فجمعت قوتها وادنت الجريدة من وجهها وامعنت نظرها فيها فرأت الكلمات ترقص امامها فعادت تحدق فيها ثم صرخت قتلوهُ قتلوهُ يا ابي يا ابي ووقعت مغمىً عليها والجريدة الى جانبها

***

النهام في مكتبتهِ وكلفري واقف امامهُ . وقد مضى اسبوع على سرقة البنك وجرى التحقيق واخذ رجال البوليس ينتشون عن القاتل . ودفن بنتنك . وقف كلفري يطلب منهُ امام النهام المدير فقال لهُ المدير تفضل اجلس اني لا اقابل احدًا في هذه الايام ولكن انت مستثنى اظنك اتيت لتسأل عمَّا قرَّ عليهِ القرار من جهة تنظيم البنك . لم يتم شيء حتى الآن والمسألة في يد المديرين ولا استطيع ان اهتم بها لان زوجتي مريضة وابنتي تشغل بالي تفضل اجلس

فقال كلفري لا اجلس بل ابقى واقفًا باذنك . عندي امور اريد ان اطلعك عليها ولم ارَ من الحكمة ان اطلع عليها احدًا غيرك . فقال النهام هذا الامر لا يعنيني وليس هو من شأني فاذهب الى رئيس البوليس واخبرهُ بما تعلمهُ

فقال كلفري غير ملتفت الى كلام المدير . اولاً لا اريد ان اعود الى البنك

فقال المدير اذًا تريد شهادة مني فاني اكتبها لك عن طيب نفس

وماذا تريد ان تفعل هل تريد ان تتاجر بما تعلمهُ

فقال كلفري حاشا لي ان افعل ذلك وانت تعلم اني لا افعلهُ ولما سئلت لم اذكر شيئًا يلقي اقل شبهة عليك لانني لو فعلت لوجدت القانون عاجزًا عن ان ينالك ولكن انت وانا وذلك اللص نعرف من انت وماذا فعلت وسوف تبقى معرفة ذلك محصورة فينا . انك ابوها ويجب ان تبقى مشوشة فيك وخير لي ان اقتلك بيدي من ان تسيء الظن بك ولقد فضلت ان اطلعك على ما اعلمهُ من امرك . اما اللص فلا بدَّ من نجاتهِ والاَّ افشى سرك وعليك ان تحمي الرجل الذي قتل خطيب بنتك وتبقى متظاهرًا بالفضل كما انت اكرامًا لها . ولو قتلت نفسك لافتضح امرك . وعليك ان تدعها تعتنقك وتقبلك كل صباح وكل مساء كما كانت تفعل دائمًا وتتظاهر

امامها بالصلاح . اما الشرائع البشرية والنواميس البشرية فلا تصل اليك ولا يمكنها ان تقاصك باشد مما تقاص انت نفسك به فقد متَّ موتاً ادبياً ودخلت ابواب الجحيم من الآن ومع ذلك عليك ان تتظاهر بانك حيٌّ وبانك من الملائكة لا من الابالسة اما انا فلا اريد منك شيئاً وانما اريد ان اكلمك عن الليلة التي قبل ليلة السرقة فقد زارك رجل تلك الليلة واستقبلتهُ في بيتك

طنّت اذنا النهام لما سمع هذا الكلام وجاشت نفسهُ وكاد يغمى عليهِ وقال بصوت خافت أصحيح ذلك قد يكون صحيحاً فانني استقبل كثيرين هنا

فقال كلفري كنت مارًّا امام الباب لما خرج منهُ فرأيت وجههُ رأيتهُ جليًّا حتى لا انساهُ ولو مرَّت السنون ثم رأيتهُ نفسهُ في الليلة التالية فعرفتهُ

فتولَّت النهام الرعدة فامسك كرسيهُ بيدهِ مخافة السقوط عنهُ وقال هل رأيتهُ فاجابهُ كلفري نعم رأيتهُ وعرفتهُ لما وضع مسدسهُ في قلب بنتنك واطلقهُ وكنت اود ان يلحقني بهِ لانني عرفت دخيلة هذا الامر . لقد كنت اعتقد فيك غير مارأيت . اللهمَّ صبرًا

فوقع كلامهُ كالصاعقة على النهام لكنهُ تجلَّد وانتصب في كرسيهِ وقال لهُ قل ما هو مرادك . قال ذلك وصمت بغتةً كأنهُ حصر عن الكلام وغادرتهُ الفصاحة التي انطقتهُ بما نطق . ثم قال هذا ماخطر لي ان اقولهُ ولا اعلم تماماً ماذا قلت وسابقى في هذه المدينة حتى اذا احتاجت الى مساعدتي لا اتأخر عنها اما انت فلن تعود تراني

قال ذلك ومشى ليخرج فقال لهُ النهام لقد كنت احسبك مخلوكاً ضعيف الرأي ولكن فاضت عليك الآن قوة علوية لكي تخجلني وتقتلني ولست آسفاً لانك عرفت امري بل انني مسرور لانهُ يوجد من يعلم حق العلم اني مراءي وجبان وشرير وحسبك تفعل ببقائك في هذه المدينة حتى تقع عيني عليك من وقت الى آخر فاتذكر من انا . وانهُ ليصعب عليَّ جدًّا ان ابقى محتفظاً باسمي وحياتي ولكنني ساقعل ذلك الى أن اموت كمداً . اذهب يحفظ الله

عاش النهام بعد ذلك ثلاث سنوات فقط ولما مات ظهر كأنهُ شيخ هرم ولا تزال زوجتهُ وابنتهُ في قيد الحياة عاكفتين على اعمال البر وكلفري يزورهما من وقت الى آخر . وفي غرفة اولبيا صورة ابيها وخطيبها وهما سلوتها من الدنيا تحيطهما بالازهار كل يوم

انتهت القصة ومغزاها اوضح من ان يبيَّن . فكم من امرىء تظنهُ معدن الصلاح ومحتد الفضل ويظهر بين الناس في هذا المظهر ولا يبالي وهو ذئب في ثياب الحملان

ذئب تراهُ مصليًا واذا مررت بهِ ركعْ
يدعو وجلَّ دعائهِ ما للفنيصة لا تقعْ

وكم من رجل يُعدّ من اهل المناصب الذين حازوا الشهرة بالجد والمثابرة او من ارباب الاموال الذين اغتنوا بالحذق والتدبير وهو لص انتحل المعارف او سرق الاموال او زوّر او مان تخدع الناس ولم يكشف امرهُ . والضمير لا يؤنب على محرَّم الاَّ قبل التوغل في ارتكاب المحارم والعاقل مشغول بنفسهِ عن كشف عيوب غيرهِ

سياسة المدرسة

ألفت العالمة الفاضلة مس لاكرانج رئيسة مدرسة البنات الاميركية في طرابلس الشام عدة مقالات بالانكليزية ضمنتها اراء اشهر كتبة هذا العصر في فن التعليم مثل سبنسر وغيرهِ فاثرت نشر خلاصة مقالة منها في المقتطف الاغر وموضوعها "سياسة المدرسة" ليقف عليها اساتذة المدارس ومديروها قالت

من المدارس ما تكون بهجة التعلم والتلميذ معاً . فيدرس التلامذة فيها برغبة ونشاط ويرجعون الى بيوتهم مساء وقلوبهم متعلقة بالمدرسة . ومن المدارس ما هي على خلاف ما ذكرنا . فان فيها من التشويش والكسل وسوء التصرف ما يحير المعلم ويتعبهُ حتى يشعر ان مدرستهُ اكره مكان في العالم فيأخذ بعد الايام كأنهُ مسجون في احد السجون

يستطيع الانسان ان يعمل عملاً ميكانيكيًّا وقلبهُ بعيد عنهُ ولكن هذا لا يتهيأ لهُ في معاملة الاخوان حيث ينبغي ان تظهر محبتهُ للعملِ بعينيهِ وشفتيهِ وصوتهِ ويديهِ . والمحبة هي المفتاح الذهبي لكل قلبٍ والمعلم الذي لا يحب تلامذتهُ لا يمكنهُ اتقان التعليم . ولا حاجة الى اعلان المحبة بالشفاه فانها تظهر في الاعمال واللهجة والصوت بل تُقرأ على محيا المعلم وهو ينظر الى تلامذتهِ

وعلى المعلم ان يتذكر ان الطاعة الحقيقية لا تكون اجبارية . راقب جوادًا وهو يروّض تجد ان المروض لا يخوفهُ بل يبدي ارادتهُ لهُ بجدّ فحالما يدرك المراد ويشعر انهُ قادرٌ على اقامهِ يجري في عملهِ

والمعلم اذا راقب تلامذتهُ في ساحة اللعب يرى ان احدهم يتخذ امر القيادة على نفسهِ والبقية ينقادون اليهِ عن طيب نفس ليس لانهُ فائق القوة بل لان لهُ الصفات التي تخولهُ القيادة كالرزانة والسطوة والثقة بالنفس وغيرها . فالمعلم المقتدر يتمكن من جذب التلامذة اليهِ ولا سيما الكبار منهم الذين يتهيأ لهُ بواسطتهم اقامة رأي عام يهون عليهِ تدبير المدرسة .

والتلميذ يسر اذا شعر انهُ قادر على مساعدة معلمهِ

ومن الممكن ان تصير الطاعة عادةً في التلامذة . فيعتادون على الجلوس بهدوء والنهوض معاً والسير بنظام والتكلم باحترام . وعلى المعلم ان لا يطلب من التلميذ طاعةً عمياء بل ليطلب منهُ الطاعة لقوانين يراها التلميذ انها سنت لخيرهِ . وعليهِ مراعاة التلامذة عند سن كل قانون لان للقوانين علاقة بهم . فهم اذا احسوا ان اساس القانون حب السلطة نفروا من الرضوخ لهُ . فالطاعة ينبغي اذاً ان تكون عن رضى القلب لا كرهاً . وعلى المعلم قبل طلب الطاعة ان يتأكد اصابة طلبهِ ثم يجري في تنفيذهِ باظهارهِ العزم والجد ولهيئة المعلم اهمية كبرى . قال احد النظار المقتدرين " ان الذي لا يمكنهُ ان ينظر الى عين تلميذهِ لا يستطيع ان يتسلط عليهِ "

واذا فعل التلميذ امراً مستقبحاً فعلى المعلم ان لا يضيع رشدهُ . فان رزانة الربان وتسلطهُ على نفسهِ هما اللذان ينقذان المركب حين الخطر . وقوة المعلم تتضاعف الف مرة اذا استطاع ضبط نفسهِ ضبطاً كاملاً في الاحوال المهيجة

ليكن قصد المعلم من التسلط على التلامذة خيرهم وعليهِ ان يراقبهم بانتباه ليتمكن من معرفة درجة اقتدارهم . فاذا وجد منهم ضعفاً فاللوم عليهِ لانهُ يكون غير قادر على تحويل انتباههم اليهِ وعلى بسط الكلام وايضاح المعاني . فان هذه النواقص اذا وجدت في المعلم كانت عقبات في سبيل التلامذة ولابد من تنسيق الدروس اوقات التسميع تنسيقاً حسناً والاَّ كانت سبباً لخراب المدرسة

المرغبات

ان المعلم الذي يقتصر على حث النبهاء والمجتهدين يخطئ الغرض لان هؤلاء لا يحتاجون الى محركات ومرغبات . وعليهِ فان اعطاء الجوائز امرٌ معترضٌ عليهِ لانهُ من قبيل ترغيب النبهاء وتثبيط عزائم البلداء الذين هم اولى بالحث والتحريك . هذا ناهيك عن ان الظفر بالجائزة يحرك في الظافر الاعجاب والكبرياء فينظر الى من دونهُ نظر الازدراء وربما كان جهادهُ في الدرس ومحافظتهُ على القانون لمجرد طلب التفوق والفوز لا لطلب المعرفة والسلوك الحسن لذاتهما . وكم من مرة يرى التلامذة ولداً حاملاً جائزة مع علمهم انهُ اقل منهم استحقاقاً او اجتهاداً . وافضل المرغبات وابسطها العلامات (النقط) الاسبوعية والشهرية والسنوية التي تظهر منزلة الدارس . واسمى المنشطات الادبيَّة الترغيب في الحصول على رضى الوالدين والمعلمين والرغبة في التقدم والنجاح وعمل المستقيم وحب خير الآخرين وغير ذلك من الامور النبيلة

التأديب والقصاص

اذا عجز المعلم عن التسلط على التلامذة فهو غير قادر على التربية والتنظيم وعدم اقتداره هذا لا يقوم مقامهُ التوبيخ والتعنيف والضرب . ومن الاغلاط التي يغلب صدورها من بعض المعلمين هي الانتهار وهو ليس تأديباً بل هو تخالف للتأديب . ومن اكبر المصائب التي على المعلم احتمالها هي الغلاظة التي تصيح احياناً وقاحة والغلاظ في المدرسة قلائل ولكنَّ واحداً منهم يكفي لاتعاب المعلم كما تكفي ذبابة واحدة لاقلاق الحصان . فاذا وجد من يتعمَّد الخشونة في المدرسة ويستهين باوامر المعلم فعلى المعلم ان لا يعامله بمثل خشونتهِ بل ليظهر الاستغراب ما إمكنهُ بهيئة ممزوجة بخيبة الامل . تكلم مع التلميذ على انفراد ولكن لا تطلب منهُ ربط نفسهِ بوعدٍ اذ لعلَّهُ يريد الاصلاح ويأبى الارتباط بوعد . وليس من الحسن تكثير القوانين في المدرسة

ولا بدَّ لكل مدرسة من قوانين فمن الضرورة تعيين قصاصات على مخالفتها غير انهُ ليس من الضروري جعل القصاص صارماً بل ليكن ساعداً في تدريب التلميذ على إطاعة القانون . فاذا كان التلميذ كسلان او مزعجاً فاستبقهِ بعد انصراف المدرسة واستوضح منهُ فاذا كان عذرهُ حقًّا او هو ليس من اهل السوابق فاصرفهُ . واياك ان تحجز عليهِ بروح الانتقام دعهُ يشعر انهُ انما يُقاصص على الذنب لا على اغاظة المعلم

وقد تقضي الحال ان يعترف التلميذ علانيةً بذنبٍ ارتكبهُ ولكن مثل هذا الاعتراف يحتاج الى مزيد حكمة وانتباه لئلاَّ يتولَّد عنهُ الرياء او التذمر او العصيان جهاراً . وانواع القصاصات كثيرة الاَّ ان الضرب ينبغي ان يكون آخر ما يلجأ اليهِ . والحذر من ضرب الولد على رأسهِ او دفعهِ او هزِّهِ او قرصهِ او جذب اذنهِ لان هذه الامور انما تستعمل بغضبٍ فتكون عواقبها وخيمة هذا ناهيك عن انها معاملة وحشيةٌ تحط بقدر المعلم والتلميذ . والحذر من القصاصات التي تطول آلامها ومن استعمال التهكُّم والسخرية فانها تولِّد اردأ الاحساسات . وعلى المعلم حين اجراء القصاص ألاَّ يكون عليهِ ادنى مظاهر الغضب لئلاَّ يكون القصاص انتقاماً وتشفياً . ومن المستحسن تأخير القصاص الصارم الى وقتٍ يمكن التلميذ من التأمل بالذنب والمعلم من ضبط نفسهِ ليكون على اتم الهدو والسكينة . ولا يبرح من البال ان الغاية من القصاص هي اصلاح المعتدي وردع الغير عن التشبُّه بهِ فاذا كان القصاص فعَّالاً انتج ندامةً وخضوعاً

والتوبيخ اللطيف من افعل القصاصات وخير استعمالهِ على انفراد لان توبيخ التلميذ على

مشهدٍ من ارفاقهِ يدعوهُ الى المقاومة وكلما قلَّت القصاصات في المدرسة دلَّ ذلك على الزيادة في حسن ادارتها

والنظام من لوازم السلطة الحسنة . والسكون ليس بنظام . فقياس النظام إنما هو العمل اي ان افضل نظام هو الذي بواسطتهِ يتم افضل عمل

ومن اللياقة ان يكون المعلم بشوشاً مبتسماً . يظن البعض ان السلطة تستدعي ظهور الانسان بمظهر الصرامة والاستبداد وهذا غلط . ان المعلم الذي يمكنهُ ابهاج التلامذة وايقاظ اذهانهم للمعرفة يمكنهُ ان يتسلط عليهم

التسميع

على المعلم ان يعلّم جيداً ما يعلّمهُ وان يستعد لكل درس . والموضوع مهما كان قديماً على المعلم اظهارهُ بمظهر جديد متعش . والاولاد من طبعهم حب العلم فاذا ابدوا تململاً من درس فذلك دليل على ان وقتهُ لم يأتِ . فالدروس يلزم ان تكون مناسبة لسن المتعلم ودرجة ارتقائهِ . وعلى المعلم ان يجري في تسميعهِ على طريقة يشغل بها الفرقة كلها ويطلب ان يكون التسميع خالياً من الغلط واجوبة المسائل محكمة تمام الاحكام لئلا يتعود التلميذ على الدرس السطحي فيعتاد الغلط ويفقد اعتبار النفس . وعلى المعلم ان لا يتبع خطة في التسميع يعرف منها كل واحد من التلامذة متى يأتي دورهُ وان لا يسمح بالمجاوبة لاحد من غير تسميتهِ ولا بمعارضة تلميذ آخر لان هذا من ضروب الخشونة . ونختم هذهِ المقالة بذكر بعض امورٍ يجب على المعلم اجتنابها

(١) لا تسأل التلامذة مسئلة سخيفة لا تحتاج الى جواب (٢) لا تسأل الاذكياء اكثر من البلداء (٣) لا تستعمل لهجة الآمر (٤) لا يأخذك الملل في اصلاح سقطات التلامذة (٥) لا تتأخر عن طلب الصفح من تلميذ اسأت اليهِ (٦) لا تغمض الطرف عن الحسنات وتفتحهُ عند النظر الى السيئات بل اكثر من النظر الى ما هو صالح (٧) لا تحاول تهدئة المدرسة بالخبط على الطاولة او بدق الجرس (٨) لا تذنب تلميذاً على عمل شيء انت تفعلهُ

لا تنهَ عن خلق وتأتيَ مثلهُ عار عليك اذا فعلت عظيمُ

طرابلس الشام جرجس الخوري المقدسي

المدرسة الكلية الاميركانية

في بيروت

يتعذر على الكاتب ان يوفي هذه المدرسة حقها من الوصف في مقالة او مقالات فان ذلك يقتضي مجلداً ضخماً وانما نقول في هذا الصدد ان ارض المدرسة تشغل مساحة تزيد عن مساحة حيّ من احياء القاهرة كالاسماعيلية او التوفيقية وفيها ثلاثة عشر بناء نصفها كبير فخيم وموقعها في راية تشرف على البحر غرباً بشمال وهواؤها صحيٌّ وكل هذا مما يتدر اجتماعه في المدارس الكبيرة

مضى على هذه المدرسة نحو ٣٨ عاماً وهي سائرة سيراً حثيثاً الى الامام فقد كان عدد تلامذتها سنة انشائها ستة عشر فبلغوا هذا العام سبع مئة واربعين وكان فيها اولاً دائرتان وهما الدائرة العلمية والدائرة الطبية فصار فيها الآن خمسٌ وهي العلمية والطبية والصيدلية والاستعدادية والتجارية

وكان اساتذتها عشرة او اثني عشر فبلغوا اليوم نحو ٤٥ وكانت متاحفها صغيرة وادواتها قليلة ومكتبتها لا تكاد تذكر واللغات التي تعلمها الانكليزية والعربية فقط فصار فيها الآن صفوف اختيارية لدرس الفرنسوية والتركية والالمانية ايضاً وجمع في مكتبتها نحو خمسة عشر الف مجلد وبلغت ادواتها وعددها مبلغاً عظيماً من الاهمية واصبحت متاحفها من متاحف العالم المعدودة وخصوصاً متحفي النبات والجيولوجيا لوجود كثير من الروامز النادرة الجامعة لنبات سورية وفلسطين وبعض الممالك الشرقية وهو ما لا وجود لهُ في غيرها

ويضيق بنا المقام لو شئنا وصف كيفية التعليم فيها وغاية ما نقولهُ هنا ان برنامجها مترف فهي تعلم الرياضيات بجميع فروعها كالهندسة والجبر وحساب المثلثات والمساحة والهندسة التحليلية والفلك وفيها مرصد تام الآلات والادوات لرصد الاجرام السموية وتعلم العلوم الطبيعية كالنبات والحيوان والكيمياء والجيولوجيا وتعتني بتدريس اللغتين العربية والانكليزية تمام الاعتناء من صرف ونحو ومعانٍ وبيان وبلاغة. ويمرن التلامذة على الكتابة الفصحى والالقاء فيها . اما العلوم فتدرس كلها باللغة الانكليزية

غير ان الذي امتازت بهِ هذه المدرسة وسبقت بهِ غيرها من مدارس الشرق وكثيراً من مدارس الغرب ايضاً هو روح التربية الصحيحة والاعتناء بآداب التلامذة وانماء العواطف الشريفة وعزة النفس فيهم واعدادهم لكي يكونوا رجالاً في العالم . فعند دخول التلميذ الى المدرسة

يعطيهِ الرئيس منشوراً طبع بعدة لغات وملخصهُ انك ايها التلميذ قد اتيت الى هذه المدرسة ليس كمن يأتي الى سجن بل كمن يأتي الى عائلة ومعلموك يهتمون ان يبلغوك اقصى درجات النجاح . فعليك اذاً ان تحافظ على قوانينها حتى يعيش جميع افراد هذه العائلة في هناء وراحة. واهم قوانينها هو هذا " ان كل تلميذ يسلك سلوك رجل اديب صادق شريف يحتقر الكذب ويغتنم الفرص التي تسنح لهُ للفائدة ويسر بمساعدة من حولهُ . فعند ما تدرس ادرس بنشاط وعند ما تلعب العب بنشاط . قد اشتهر تلامذة مدرستنا بالاستقامة في وقوفهم وكلامهم واعمالهم . ثم انك كثيراً ما ستشعر بفتور العزم او تقع في مشاكل فاذا وقعت في شيء من هذا فلا تتأخر عن الالتجاء الى الرئيس او الى احد المعلمين اذ تجدهم يسرون بمساعدتك" . ويعين الرئيس لكل فرقة من التلامذة معلماً يكون بمثابة صديق خاص لهم يلجأون اليهِ وقت الالعاب والمشاكل . هذه هي طريقة استقبال التلامذة الداخلين حديثاً يأتي الواحد منهم غريباً فيرى رئيس المدرسة ومعلميها يستقبلونهُ بالترحاب ويعاملونهُ بما لا مزيد عليهِ من اللطف والايناس والرئيس ساعات معلومة كل يوم يستقبل فيها التلامذة يدخل عليهِ التلميذ ليشكو همومهُ ويقضي اشغالهُ فيرى هناك اباً رؤوفاً وصديقاً نصوحاً يستقبلهُ بالدعة واللطف ويخلص لهُ النصح وما يلزم من الارشاد فيعود وملء جنبيهِ الشكر والنشاط بعد فتور الهمة والعزم . وليس هناك حاجب يحول بين التلميذ والرئيس او عوائد تلزمهُ مراعاتها مثل السلام العسكري والوقوف كما يقف الجندي امام ضابطهِ مما يثبط الهمم ويصغر النفوس ويجعل الانسان آلة ميكانيكية في يد من هو اعلى منهُ بل يجلس التلميذ بجانب الرئيس ويتحادثان بحرية تامة كما يتحادث الولد مع ابيهِ . وتحيي عقيلة الرئيس وغيرها من عقيلات المعلمين ليالي سامرة لكل فرقة من فرق المدرسة لتعليم التلامذة آداب السلوك في الاجتماعات وتدريبهم على آداب المعاشرة فترى المعلمين وعقيلاتهم في هذه الليالي يبذلون الجهد في توفير وسائل السرور ويشتركون جميعاً في التوقيع على الآلات الموسيقية والغناء ولعب الالعاب حتى يشعر التلامذة كأنهم بين اقاربهم وخلانهم وكل هذا مما لا غنى عنهُ في اقتباس التمدن الحديث وتهذيب الاخلاق

والاهتمام بتثقيف عقول التلامذة وتهذيب اخلاقهم ليس باقل من الاعتناء باجسامهم ففي المدرسة استاذ ماهر للالعاب الرياضية وهو يروض اجسام التلامذة على احدث الطرق العملية المعول عليها في مدارس اميركا . يزن التلميذ في اول السنة ويقيسهُ بطرق مختلفة ثم يفرض لهُ نوع التمرين العضلي الذي يوافقهُ ولكل تلميذ صحيفة خاصة بهِ يقيد فيها الاستاذ مقاس التلميذ من وقت الى آخر لمعرفة الفرق . ولدى الاستاذ جدول فيهِ متوسط وزن ومقاس

خمسة آلاف شاب في اميركا بين السابعة عشرة والثلاثين من العمر فيقابل عليهِ اقيسة التلامذة في المدرسة . وقد ظهرت فائدة هذه الالعاب الرياضية حتى صار كثيرون من التلامذة مثل احسن شبان اميركا تقريباً في قوة العضل وخفة الحركة مع ما للاميركيين من السبق في هذا المضمار . وضمن اراضي المدرسة ميدان كبير متسع يلعب فيهِ التلامذة ولهم في السنة يوم مشهود يتقاطر اليهِ الناس لمشاهدة الالعاب المختلفة حتى بلغ عدد المتفرجين هذه السنة نحو الخمسة آلاف

وتهتم المدرسة اهتماماً عظيماً لتقرن العلم بالعمل فلا يكتفي الاساتذة بالقاء الدروس وعمل التجارب بانفسهم بل يدربون التلامذة على اجرائها هم ايضاً — ترى تلامذة صف التحليل الكيماوي وامام كلٍّ منهم الانابيب والادوات اللازمة للعمل وترى تلامذة صف الفحص المكرسكوبي وكلٌّ منهم يفحص بمكرسكوبهِ وتلامذة النبات يجمعون عدداً معلوماً من الروامز النباتية ويرتبونها بحسب فصائلها وانواعها ويفعل مثل هذا تلامذة الحيوان والجيولوجيا . وتلامذة مدرسة التجارة يتمرنون على مسك الدفاتر تمرينًا كافياً ويدرسون علم سياسة الاقتصاد وتاريخ التجارة وآدابها والنصوص القانونية التي يحتاج اليها التاجر فيخرج التلميذ منهم وقد المَّ ببادىء التجارة علماً وعملاً

ومما يميز هذه المدرسة استقامة المبادىء وحرية الافكار وهي وان كانت مسيحية وتفرض على جميع تلامذتها حضور الصلاة اليومية الاَّ انها لا تحاول حملهم على تغيير معتقدهم بل ان رئيسها يوصي كلاً منهم باتباع قواعد مذهبهِ على اختلاف مللهم ونحلهم فيسهل على المسلمين الصوم وقضاء سائر الفروض التي يوجبها الاسلام عليهم . والغاية التي تسعى اليها المدرسة في جعل تلامذتها مثالاً في الامانة والاستقامة وصدق المعاملة ولطف الاخلاق حائزين لجميع صفات الرجولية مثل الاعتماد على النفس والشهامة واحتقار الكذب . وجميع مواعظ اساتذتها وخطبهم الادبية ترمي الى هذا الغرض وهي بعيدة بعد الارض عن السماء عن كل ماتشتم منهُ رائحة التعصب الديني او الجدل . ومن الطف الاساليب في انماء محبة الحق والعدل انهُ اذا اذنب تلميذ عرض الاستاذ الامر على صف الادبيات وطلب اليهم ان يبدوا آراءهم في مقدار جسامة ذنبهِ والعقاب الذي يستحقهُ عدلاً وقد شهد لهم الاساتذة انهم غالباً يصيبون في احكامهم ولا تمنعهم صداقتهم للمذنب عن النظر في ذنبهِ نظراً خالياً من كل غرض وهوى

واغلب اساتذة هذه المدرسة من متخرجي اشهر المدارس الجامعة في اميركا وبينهم كثيرون من المعلمين السوريين الذين تخرجوا من المدرسة الكلية نفسها وكلهم يعيشون معاً على غاية

الوفاق والوئام بلا فرق ولا تمييز. ومما يجدر ذكرهُ عنهم انهم ينتهزون الفرص للدرس والمطالعة ولهم جمعيات خاصة بهم يلقون فيها الخطب المختلفة في المواضع التي يدرسونها و يدعون جهدهم في طرق ابواب جديدة للبحث فاساتذة النبات والجيولوجيا والتاريخ جابوا سورية وفلسطين وحوران وجبل لبنان وجمعوا رموزاً وعاديات ثمينة جداً وبعضها فريدٌ في بابهِ لا وجود لهُ في متاحف بقية المدارس

ولا تزال المدرسة سائرة في سبيل التقدم باجتهاد وهمة رئيسها ومعلميها و بغيرة اهل الفضل واليسار من اهالي اميركا الذين ينفقون من اموالهم عليها بسخاء و يعتنون بنجاحها. فقد شرعت هذا العام في بناء مستشفى للنساء على احسن مثال وآخر للاطفال ومدرسة لتعليم الممرضات صناعة التمريض يقضين فيها ثلاث سنوات في الدرس والتمرين وستكون دروسها بالانكليزية و يتوون في المستقبل بناء مستشفى خاصٍ بامراض العين وآخر للامراض الجلدية

هذه طرفة من تاريخ هذه المدرسة ووصف حالها الحاضرة . نسأل الله ان يأخذ بناصر ذوي المروّة والهمة والكرم لتعمر بيوت العلم في الشرق وتعود المعارف الى اهلها (سائح)

قوانين يوستنيانوس

(تابع ما قبلهُ)

الفصل العاشر في التصرف في الاملاك

ان عادة التصرف في الاملاك قد ادخلها القاضي تعديلاً للحق القديم او اثباتاً لهُ

(١ و ٢) من لم يدخلهم في الميراث الا القاضي لايصيرون وَرَثة بحقٍ تام بل هم اشباه الوَرَثة و يسمون واضعي اليد

(٣) ان التصرفات في الملك المبنية على كتاب الوصية هي الآتية . الاولى ما يعطاهُ الاولاد المسكوت عنهم وما يُدعى ضد الالواح . والثانية ما وعدهُ القاضي كلَّ المقامين ورثة شرعاً والمورَّثين حسب الالواح . واما من ماتوا ولم يوصوا ففي الدرجة الاولى الوَرَثة الحقيقيون . والذين امر القاضي بجعلهم ورثة فالقاضي يجيز لهم وضع اليد كالاولاد . ثم ان القاضي يجيز وضع اليد في الدرجة الثانية للوَرَثة الشرعيين . وفي الدرجة الثالثة لعشرة اشخاص يفضلون على المعتق الاجنبي . وفي الدرجة الرابعة لاقرب ذوي الارحام . وفي الدرجة الخامسة لمن هو عضوٌ من العائلة . وفي الدرجة السادسة للمولى وللمولاة ولاولادهم واصولهم . وفي الدرجة السابعة

للزوج والزوجة . وفي الدرجة الثامنة لذوي ارحام المولى

(٤) لكن تصحيحاً لكل هذه الاحكام قد استحسنا وضع اليد مخالفة لما جاء في الالواح او موافقة لهُ . واما الذين يموتون غير موصين فالاحكام الواردة في حق الاولاد وفي حق المتخذين ورَثة شرعاً وفي حق الزوج والزوجة فلما كان القاضي قد اوجد جملة انواع من وضع اليد عين زمناً محدوداً لطلب وضع اليد . سنةً للاولاد والاصول الطبيعيين او المتبنين ومائة يوم لمن عداهم

(٥) اذا من لهُ حصة في الميراث لم يطلب وضع اليد في هذه المدة المحدودة فتعطى تلك المدة الذين هم من هذه الدرجة نفسها . وان لم يكن هناك احد من تلك الدرجة فتعطى المهلة من هو في الدرجة التابعة وهلمَّ جرًّا . ولا يعد للطالب الاَّ الايام التي تمكن فيها من الطلب

الفصل الحادي عشر في الافتئات بالتبني الاستدعائي

(١) متى ابو العائلة سلم نفسهُ بالتبني الاستدعائي فكل مالهُ من العروض والعقار والحقوق او كل ما يجب لهُ كان في الشرع القديم يصير بحق تامّ ملك المتبني ما خلا ما يهلك او يبطل بتغير الحالة

(٢) اما في عهدنا فلم يبقَ لهُ سوى استغلال ما امتلكهُ الاولاد بسبب اجنبي عن الاب . فان مات المتبني استدعائيًّا في عائلته المتبناة فكل ما كان لهُ حتى الملك ينتقل الى المتبني . مالم يكن هناك اشخاص آخرون يفضلهم قانوننا على الاب فيما لا يمكن ان يكتسبهُ من الاشياء

الفصل الثاني عشر فيمن تسلم اليهِ الاملاك المحكوم بها بسبب التحرير

اذا العبيد الذين اعتقهم مولاهم بكتاب لم يستعملوهُ لقبض الميراث التمسوا ان يقضى لهم بالاملاك محافظةً على الحرية قُبِل التماسهم

الفصل الثالث عشر في التركات الممنوحة الحاصلة من بيع الاملاك وفي مرسوم قلوديانوس[1]

مع السياق المألوف في الدعاوي[2] تجتني مبايعات الاملاك فيعطى الدائنون الحق ان يضعوا ايديهم على الاملاك باذن القاضي بالوجه الذي يظهر لهم انهُ الاصلح والانفع

---

(١) عامل روماني وُلد في السنة العاشرة قبل المسيح وقد جاء في ترجمته انهُ وضع عدَّة تدابير قضائية نافعة وقد مات مسموماً (٢) اي مع انتفاء المعاملات المتعارفة

الفصل الرابع عشر في العهود

لننتقل الى العهود . العهد رباط الشرع الملزم بالوفاء حسب قواعد الشرع المدني

(١) ان العهود بحسب التقسيم الاصلي قسمان مدنية وقضائية فالعهود المدنية هي التي تقررها الشرائع او يؤيدها الشرع المدني . والعهود القضائية هي ما يقررها القاضي بالتصرف بولايته ويسمونها شرفية

(٢) وهي في التقسيم التالي اربعة اقسام لانها اما ان تقع بالمعاهدة او بشبه المعاهدة او بالجناية او بشبه الجناية . فالتي تقع بالمعاهدة تقوم بالشيء وبالقول وبالكتابة وبالرضا

الفصل الخامس عشر في بأي وجه يتعهد بالالتزام بالشيء

التعهد بالشيء يقع بحصول القرض . وموردهُ الاشياء القابلة التثمين وزنًا او عدًّا او ذرعًا والتي ترد بمثلها جنسًا ونوعًا . وعن هذا العهد تنتج الدعوى الشخصية لاسترداد المسروق والمختلس والمغصوب

(١) من يقبل ما ليس لهُ ممن يقيهِ اياهُ خطاء يلتزم بالشيء ويحق لمن يتصرف فيهِ اقامة الدعوى الشخصية لاسترداده

(٢) من يأخذ شيئًا بقصد الاستخدام يلتزم بهِ . وعليهِ ان يحفظهُ حفظ العارية . والمستعير اذا فقدت العارية منهُ اتفاقًا يبقى ملتزمًا بها (يريد اذا كان ذلك بسبب منهُ) ويجب على من اخذ شيئًا للاستخدام ان يبذل اتم العناية بحفظهِ لكنهُ لا يلتزم اذا طرأت قوة غالبة ولا في الاحوال الاتفاقية حين لا يقع الضرر بتعديهِ او تقصيرهِ [1] والشيء المأخوذ للانتفاع بهِ يعد عارية ان لم يعطَ او يوعد أجرة ما عليهِ

(٣) كذلك من يستودع شيئًا يلتزم بهِ ويؤاخذ بدعوى الوديعة ان وقع منهُ تعدٍّ او تقصير [2]

(٤) الدائن المرتهن ملتزم بالرهن وملتزم ان يرد الشيء بصك الرهن . وقد تقرَّر ان

---

(١) هذا منطبق على قول الفقهاء ان الامانة اذا هلكت من غير تعدٍّ لم يضمن الامين كالوديعة فهي امانة في يد المودَع فاذا هلكت من غير تعدٍّ لم يضمنها لأن بالناس حاجة الى الاستيداع فان ضمناهُ يمتنع الناس من قبول الودائع فتتعطل مصالحهم

(٢) سئل فيما اذا كان لزيد الغائب وديعة عند عمرو فأذن له زيد في ارسالها اليهِ مع رجل امين يعتمد عليهِ ففعل ذلك فخرج على الرسول قطاع الطريق فنهبوا القافلة والامانة بالقهر والغلبة ولم يكن دفعهم ويريد زيد ان يضمنها عمرًا فهل حيث كان الامر كذلك لاضمان على عمرو (الجواب) نعم (تنقيح الفتاوى الحامدية) وفيها ايضًا اذا أبق عبد الوديعة فلا ضمان على المودع اذ قد جرى ذلك بدون تعدٍّ منهُ ولا تقصير في حفظهِ

ليس عليهِ الاَّ بذل العناية بحفظهِ

الفصل السادس عشر في العهود القوليَّة

ينعقد العهد القولي بواسطة السؤال والجواب وذلك متى وقع الشرط على ان تُعطى او يُفعل لنا شيءٌ ويتخرّج على هذا العهد أمران احدهما المطالبة برد الشيء المعيَّن اذا كان الشرط معيَّنًا والآخر دعوى الشرط ان لم يكن الشرط معيَّنًا

(١) يجوز ان يكتب الشرط في أي لغة متى كان المتعاقدان عارفين بتلك اللغة

(٢) الشرط اما ان يكون مطلقًا · واما ان يكون الى اجلٍ او مقيدًا بحال · فصورة الشرط المطلق أن يقول هل وعدت ان تعطيني ليرةً وربمَّا فعلى هذه الصورة تجوز المطالبة بالمبلغ حالاً واما الشرط المضروب لهُ أجلٌ فيضم اليهِ يوم وفاء المبلغ · وصورتهُ ان يقول هل وعدت ان تعطيني ليرتين ونصفًا اوَّل اذار فلا تجوز المطالبة بالمبلغ والحالة هذه قبل حلول الأجل

(٣ و ٤) الاشتراط المقيد بحالٍ هو التعهد المؤجل الى حادثة معينة ففي هذه الصورة لايكون للمتعهد لهُ الا الأمل في ان لهُ ديناً · ويجوز لهُ ان ينقل هذا الأمل الى وارثهِ

(٥) وعدتَ ان تعطيني في قرطاجنَّة فهذا كما يظهر وعد محضٌ وهو في الحقيقة يتضمن أجلاً · وهذا الأجل ضروريٌّ للواعد لكي يتمكن من دفع المبلغ في قرطاجنَّة

(٦) الشروط المتعلقة بالزمان الحاضر او بالزمان الماضي تبطل الالتزام في الحال او توجب أن لا يتأخر التنفيذ بوجهٍ ما

(٧) يجوز ان يُقيد العهد حتى بوقائع وحوادث لكن من الحكمة ان تُعلق عقوبات على تنفيذ ذلك العهد حتى لا يتكلَّف المدعي اثبات حقوقهِ

الفصل السابع عشر في المتعاهدَين والمتواعدَين

يجوز ان يتفق شخصان او اكثر في عهدٍ واحد او وعدٍ واحد فبعد ان يسأل كلٌّ منهما او منهم يجيب الواعد ويقول "وانا أعدهُ هذا الوعد على هذا الوجه" فيقول يازيد هل تعد ان تعطيني ليرتين ونصفًا وياعمرو هل تعد ان تعطيني هذا المبلغ · فمتى اجاب كلٌّ منهما على انفراد "أنا أعد بذلك" تمَّ التعاهد

(١) في تعهدات من هذا النوع لكل من الدائنين حقٌّ في الكل وكلٌّ من المديونين مسؤول في الكل

(٢) المتشاركان في الوعد يجوز ان يكون احدهما ملتزماً على الاطلاق وان يكون الآخر ملتزماً عند اجلٍ او تحت شرط

الفصل الثامن عشر في عهد العبيد

(١) يحق للعبد ان يعاهد بالنيابة عن مولاهُ ويكسب لمولاهُ . وهذا الحقُّ بعينهِ للاولاد الذين هم تحت ولاية والدهم

(٢) اذا كان العهد واقعاً على عمل فالعهد يتعلق بشخص المعاهد

(٣) العبد المشترك بين عدَّة موالٍ والمعاهد كسبهُ لكلٍّ منهم على قدر حصَّتهِ في رقبتهِ ما لم يكن قد عاهد بأمر واحدٍ منهم فقط او لواحدٍ سمَّاهُ منهم فكسبهُ حينئذٍ لذلك الواحد الذي سماهُ

الفصل التاسع عشر في تقسيم العهود

توجد عهود أُخر (وهي شرعية . وقضائية . وعمومية)

(١) العهود الشرعية انما تصدر عن منصب القاضي فقط

(٢) العهود القضائية انما تصدر عن منصب القاضي الأعلى فقط

(٣) العهود المتفق عليها هي المذكورة في عقود المتعاقدين

(٤) العهود العمومية هي كالتي بها املاك القاصر تكون محفوظةً او كالتي بها يجب انجاز الوعد

الفصل العشرون في العهود الباطلة

(١و٢) كلُّ ما يوجد او يحتمل انهُ يوجد يجوز دخولهُ في العهد فلا فائدة للعهد فيما اذا تُعهِّد لشخص ان يعطي شيئاً مفرداً لله تعالى او شيئاً دينياً او عمومياً او رجلاً حرًّا او شيئهُ الخاص

(٣) اذا وعد شخصٌ ان رجلاً يعطي او يصنع شيئاً فلا يلتزم بالوعد . واذا وعد ان يجعل ذلك الرجل يعطي فهو ملتزم بالوعد

(٤) اذا اشترط زيدٌ باسم من ليس هو تحت ولايتهِ فكأنهُ لم يشترط شيئاً وان اشترط باسم من هو تحت ولايتهِ فما حصل عن ذلك فهو راجع اليهِ

(٥) العهد باطل ان لم يجاوب الشخص عن الشيء الذي سئل عنهُ

(٦) كذلك متى عاهدت عمن هو تحت ولايتك او متى عاهد هو عنك فالعهد باطل

(٧) الاخرس لا يستطيع ان يعاهد صريحاً ولا ان يعد . وكذلك الاطرش

(٨) ليس المجنون باهلٍ لعهدٍ ما

(٩) يجوز للقاصر شرعاً ان يعاهد في كل امرٍ لكن يشترط ان يكون ذلك باذن الوصيّ حتى يصير ملتزماً شخصياً

(١٠ و ١١) متى ضمّ شرط مستحيل الى العهد صار العهد غير شرعيّ

(١٢) العهد القولي الذي ينعقد بين الغائبين باطلٌ

(١٣) بما ان العهود تصير شرعية بتراضي المتعاهدين نريد ان العهد المقطوع للالزام سواءٌ كان بعد وفاة او ليلة وفاة المعاهد او الواعد يكون صحيحاً في كل حالٍ

(١٤) العهد المنعقد على وعدٍ مقابلٍ للوعد الاول شرعيٌّ صحيحٌ في مطلق الاحوال

(١٥) العهد بالهبة عند الوفاة على الصورة الآتية وهي أتعدني ان تهبني متى متُّ انا أو متى متَّ انت شرعيٌّ صحيح

(١٦) كذلك يكون العهد صحيحاً اذا علق على وفاة ثالث

(١٧) اذا كان وعد زيد مكتوباً في صك فيعتبر ذلك الوعد بمنزلة جواب على سؤال متقدم

(١٨) متى اشتمل العهد الواحد نفسهُ على اشياء متعدّدة فان اجاب الواعد "انا أعد ان أعطي" تعيّن عليهِ ان يعطي كلّ تلك الاشياء المذكورة في العهد . واما ان اجاب "اني أعطي واحداً او بعضاً منها" انعقد الالتزام على ما تعيّن في الجواب

(١٩) انما وُضعت العهود ليكسب كلّ من المتعاهدين ما ينتفع بكسبهِ

(٢٠) متى تعهد احد الناس عن شخص ثالث وكان للمتعهد مصلحة في ذلك التعهد نريد ان يكون التعهد صحيحاً وذلك كما اذا تعهد مديون عن غريمهِ وله منفعة من وراء ذلك التعهد فالتعهد صحيح

(٢١) من يَعِد ان شخصاً ثالثاً يعمل فلا يكون ملتزماً مالم يكن قد قيد وعدهُ باشتراط عقوبةٍ ما على نفسهِ ان لم ينجز الوعد(١)

(٢٢) لا يصحّ تعهد احد بشيء يملكهُ

---

(١) من قواعد ابن نجيم ما يطابق هذه القاعدة قال « المواعيد بصور التعاليق تكون لازمة مثلاً لو قال رجل لآخر بع هذا الشيء لفلان وان لم يعطك ثمنه فانا اعطيه لك فلم يعطِ المشتري الثمن لزم الرجل اداء الثمن المذكور بناء على وعده المعلق » (المجلة)

(٢٣) اذا اعتقد المتعهد انهُ تكلم عن شيء والواعد يتكلم عن شيء آخر بطل التعهد

(٢٤) الوعد بأمرٍ قبيح منكر غير صحيح شرعاً

(٢٥) متى قيّد العهد بشرط معين فاذا تم الشرط جاز لوارث المتعهد ان يتصرف · وكذا وارث الواعد

(٢٦) من يشترط ان يُعطَى لهُ في سنة معينةٍ او في شهرٍ معين يحق لهُ شرعاً ان يطالب بما اشترط متى انقضت السنة او الشهر

الفصل الحادي والعشرون في الكفالة

قد جرت العادة ان يؤخذ كفلاء ليكون المكفول لهُ على أتم الثقة والاطمئنان

(١) يصح أخذ الكفالة في عامة العهود والالتزامات[١]

(٢) ان الكفيل ملتزم بما كفل · واذا تُوفي قام الوارث مقامهُ في الالتزام بما كفل بهِ[٢]

(٣) الكفالة يجوز ان تتقدم العهد ويجوز ان تتأخر عنهُ

(٤) اذا تعدّد الكفلاء[٣] فكلٌ منهم مطالَبٌ بالكل الاّ ان مرسوم العاهل أدريان يلزم الدائن ان يطالب الموسرين منهم وقت ابتداء المخاصمة وكلاً منهم بحصتهِ

---

(١) في الفقه الاسلامي تصحّ الكفالة بكل حقٍّ يمكن استيفاؤهُ من الكفيل · والكفالة بالمال جائزة معلوماً كان المال المكفول بهِ او مجهولاً فالاوّل نحو كفلت لك مئة المبلغ المذكور في هذا السند وقدرهُ الف ليرةٍ والثاني نحو كفلت لك عن فلانٍ ما ثبت لك عليهِ وذلك بشرط ان يكون ديناً صحيحاً · وهو ما لا يسقط الاّ بالأداء او الابراء · ومن مات وعليهِ ديون ولم يترك شيئاً فتكفل رجل عنهُ للغرماء لم تصح عند ابي حنيفة لأن الدين يسقط بموتهِ مفلساً · ولو ترك ما يفي ببعض الدين صحّ بقدرهِ كما في ابن ملك

(٢) كذا في الفقه الاسلامي · اما الكفيل بالنفس فيبرأ من الكفالة بموت المكفول عنهُ لأنهُ يسقط الحضور عن الاصيل فيسقط عن الكفيل · وكذلك يبرأ من الكفالة بموتهِ لانهُ لم يبقَ قادراً على تسليم المكفول بهِ بنفسهِ وما لهُ لا يصلح لايفاء هذا الواجب

(٣) وفي المادّة ٦٤٧ من مجلة الاحكام العدلية ما نصهُ « لو كان لدينٍ كفلاء متعددة فان كان كلٌ منهم قد كفل على حدةٍ يطالب كلٌ منهم بمجموع الدين · وان كانوا قد كفلوا معاً يطالب كلٌ منهم بمقدار حصتهِ من الدين · ولكن لو كان قد كفل كلٌ منهم المبلغ الذي لزم في ذمة الآخر فعلى هذا الحال يطالب كلٌ منهم بمجموع الدين · مثلاً لو كفل احدٌ آخر بألف ثم كفل ذلك المبلغ غيرهُ ايضاً فللدائن ان يطالب من شاء منهما · واما لو كفلا معاً فيطالب كلٌ منهما بنصف المبلغ المذكور الاّ ان يكون قد كفل كلٌ منهما المبلغ المذكور الذي لزم ذمة الآخر فعلى ذلك الحال يطالب كلٌ منهما بالألف

(٥) لا يجوز ان يكون الكفيل ملتزماً باكثر مما يلتزم بهِ المكفول عنهُ . ويجوز ان يكون ملتزماً بأقل مما يلتزم بهِ المكفول عنهُ والمديون يجوز ان يَعِد وعداً مطلقاً والكفيل يَعِد وعداً مقيداً بشرطٍ لكن نقيض ذلك غير جائزٍ

(٦) اذا ادى الكفيل شيئاً عن المكفول رجع بهِ عليهِ بحجة انهُ دفعهُ بالوكالة عنهُ [1]

(٧) متى كتب زيد انهُ صار كفيلاً عن فلان اعتبرت كفالتهُ شرعية صادرة بحضرة الشهودة ووجب عليهِ القيام بها

الفصل الثاني والعشرون في العهود المكتوبة

الاستثناء لقلة عدد النقود لايمتدُّ بوجهٍ من الوجوه الى ماوراء السنتين

الفصل الثالث والعشرون في العقود الصادرة عن التراضي

العقود تنعقد بالتراضي [2] في البيوع والاجارات والشركات والوكالات اذ يكفي من يعقدون هذه العقود ان يبدوا رضاهم . فالعاقدان في هذه العقود يجب لكلٍّ منهما على الآخر بعلة الارتباط المتبادل ان يقوم بالواجب عليهِ للآخر بنية سليمةٍ وانصافٍ

الفصل الرابع والعشرون في البيع

ينعقد البيع فورَ الاتفاق على الثمن وأما البيوع التي تفيد بالكتابة فقد قررنا ان البيع لاينعقد الاَّ متى كان صك البيع قد كتب بيد المتعاقدين او بيد ثالث . وأما اذا كتب ذلك الصك على يد الموثق اي الصكاك فلا يعتبر البيع قد عقد في اجزائهِ كافة الاَّ اذا كان قد أُعطي شيءٌ على سبيل العربون فالذي يرجع عن اتمام العقد فان كان المشتري خسر ما أعطى . وان كان البائع أُلزم أن يرد ضعف ما أخذ . ومما لابدَّ منهُ تعيين ثمنٍ اذ لابيع بلا ثمنٍ

---

(١) يرجع الكفيل على الاصيل بما أدّى ان الكفالة بأمرهِ والاَّ لم يرجع عليهِ بما يؤديهِ لانَّهُ متبرّع بأدائهِ كذا في كتب الفقه الاسلاميّ عامة

(٢) كذا في الفقه الاسلاميّ واعلم ان البيع يكون بقولٍ او فعلٍ اما القول فالايجاب والقبول وهما ركنهُ ولذا لم يلزم بيع المكرَه وان انعقد بل هو بيع فاسد موقوف على اجازة البائع . واما الفعل فالتعاطي وحقيقتهُ وضع الثمن وأخذ المثمن عن تراضٍ منهما من غير لفظٍ (الدرّ المختار وحاشية ابن عابدين)

(١) يجب ان يعين الثمن . وقد تقرر في شرعنا انهُ كلما جرى البيع على هذه الصورة وهي "لكي يعين الثمن فلان" كان البيع موقوفاً فاذا الشخص المذكور سمى الثمن نفذ البيع بحسب تثمينه فالشاري يقبض المبيع والبائع يقبض الثمن . ولكن اذا كان الامر بالعكس اي اذا لم يرد الشخص المسمى او لم يقدر ان يعين الثمن كان البيع في هذه الحال مردوداً كأنهُ لم يقع اذ لم يعين لهُ ثمن

(٢) ايضاً يجب ان يكون الثمن دارهم . وأما سابينوس وكاسيوس فقالا يجوز ان يكون الثمن اي شيء كان . ومن هنا أتى القول المشهور الدائر على السنة العوام وهو "البيع مبادلة الاشياء" واما بروكولوس فيقطع ان مبادلة الاشياء ضرب آخر من العقود مفترق عن البيع والرأي رأيهُ [١]

(٣) متى انعقد البيع صار المبيع حينئذٍ في عهدة المشتري ولو لم يستلمهُ بعد . وما ظرأ على المبيع بدون غشٍ من البائع ولا تعدٍ منهُ فلا يُسأل عنهُ لكن متى حمل الغزيل بعد البيع زيادةً على الارض فهي للمشتري لان الزيادة لمن عليهِ النقصان

(٤) يجوز ان يعقد البيع بشرطٍ وان يعقد مطلقاً [٢]

(٥) من يشتري مكاناً مقدساً ومحلاً دينياً أو عمومياً فشراؤهُ باطل . واما من يخدعهُ البائع فيشتريها على انها كسائر العقارات المملوكة للافراد فيجوز لهُ ان يقيم دعوى الشراء ليسترد الثمن الذي دفعهُ . وهذا الحكم مطرد فيمن يشتري الحرَّ على انهُ عبد [٣]

الفصل الخامس والعشرون في الاجارة

الاجارة تشبه البيع . وقواعدها نفس قواعده وتنعقد متى اتفق على الاجرة [٤]

---

(١) يقال لهذا في الفقه الاسلامي المقايضة وقالوا في تعريفها هي مبادلة عرض بعرض فمن بادل زيداً كتاب نحو بكتاب فقه كان ذلك مقايضة

(٢) كذا في الفقه الاسلامي ولكن على التفصيل الآتي وهو ان البيع بشرطٍ يقتضيه العقد صحيح والشرط معتبر والبيع بشرط يؤيد العقد صحيح والشرط معتبر وكذا البيع بشرط متعارف وهو المرعي في عرف البلدة والبيع بشرطٍ لا نفع فيه لاحد المتعاقدين صحيح والشرط لغوٌ (المجلة الفصل الرابع) وعند ابن شبرمة البيع والشرط جائزان على الاطلاق لحديث « المسلمون عند شروطهم » (٣) في الفقه الاسلامي بيع الوقف باطل لا فاسد كما هو صريح كلام القنية وفي حاشية ابن عابدين ان بعض مشائخ العصر افتوا بفساده لا ببطلانه ولم تقبل فتواهم وفي المادة ٢١٠ من المجلة لو باع آدمياً حراً فالبيع باطل (٤) عرَّفها الفقهاء بقولهم «الاجارة بيع منفعة معلومة بعوض معلوم»

(١) ما قلناهُ في البيع في شأن تعيين الثمن اذا فوّض الى حكم شخص ثالث نقولهُ في الاجارة اذا جعل تسمية الأجرة لحكم شخص ثالث

(٢) اذا سلمك شخص شيئاً معيناً لتنتفع بهِ او لتتمتع بهِ واخذ منك شيئاً آخر لينتفع بهِ او ليتمتع بهِ فهو نوع آخر من الإجارة . ويراعى في الدعوى نصّ العقد

(٣) وهذا يراعى ايضاً في التركات المسلّمة الى بعض اشخاص ليتمتعوا بها مؤبّداً بحيث انهُ ما بقيت الاجرة او الغلة تؤدى الى المالك لا يجوز ان يخرج الميراث لا الى المستأجر نفسهِ ولا الى وارثهِ ولا الى من باعهم المستأجر او وارثهُ او المعطى او المجعول مهراً او المبيع بنوعٍ من سائر انواع البيوع

وفي شريعة زينون ان الاجارة الطويلة المدّة كانت عقداً خاصاً تتبع فيهِ قواعد لهُ خاصة واذا بعض العقود كان مبنياً عليها كان حكمها حكم هذا العقد . واذا لم يتّفق على ما يطرأ من العيب او الخطر على الشيء كانت الخسارة الكلية على المالك والجزئية على المستأجر

(٤) اذا اتفق مع صائغ على ان الصائغ يصنع لهُ خاتم ذهب بوزن معيّن وشكل معيّن وانهُ يدفع لهُ ثمنهُ ليرتين ونصفاً كان ذلك عندنا بيعاً (١) . واما اذا كان الذهب لزيدٍ واتفق مع الصائغ على اجرة الصياغة فذلك اجارة

(٥) يجب على المستأجر ان يقوم بكل ما توجب عليهِ الشريعة بموجب العقد الذي عقدهُ واذا أُهمل شرطٌ في هذه الشريعة وجب انفاذهُ بمقتضى قوانين العدل والمساواة . ويتعين عليهِ محافظةً على الشيء ان يُعنى بهِ كعناية ربّ بيتٍ بأهل بيتهِ

(٦) متى توفي المستأجر اثناء مدة الاجارة يقوم وارثهُ مقامهُ في الاجارة ويصير حكمهُ كحكمهِ (٢)

(ستأتي البقية)

---

(١) وفي المادّة ٢٨٨ من المجلة « اذا قال شخص لأحد من اهل الصنائع اصنع لي الشيء الفلاني بكذا قرشاً وقبل الصانع ذلك انعقد البيع استصناعاً » وهذا موافق لما في الفقه الروماني كما رأيت

(٢) هذا مخالف لما في الفقه الاسلامي لانهُ اذا مات المؤجر او المستأجر تبطل الاجارة لكن اذا تعدّد المؤجر او تعدّد المستأجر تبطل بقدر الحصص . ولا تبطل في موت واحدٍ من خمسة الوكيل . والوصيّ . والأب . والقاضي في اجارة مال اليتيم . والقيم في اجارة مال الوقف (الفرائد البهية في القواعد الفقهية)

المغالاة بالصور

لقد يعجب الشرقي اذا قيل لهُ ان الصورة الواحدة التي لا تزيد مساحتها على متر مربع تباع احياناً بالف جنيه او اكثر الى عشرين او ثلاثين الف جنيه . ويزيد عجبهُ اذا علم ان تلك الصورة عينها كانت تباع ببضعة جنيهات وان صورًا مثلها لمصورين غير مشهورين قد لا تباع بعشرات الجنيهات . والسبب الاكبر للمغالاة بالصور تنافس الاغنياء في احراز مالا يحرزهُ غيرهم واهتمام باعة الصورة بترغيبهم في ذلك . ومن اشهر هؤلاء الباعة بيت كرستي في مدينة لندن وهو دلال نشأ في اواسط القرن الثامن عشر وكان في اول امره يبيع التحف والتركات على انواعها من الصور والاسلحة القديمة الى الخيل والمركبات والخنازير والبراميل ثم اقتصر على بيع الصور والتحف وجعل يعرض ما يريد بيعهُ في غرفة فسيحة ويدعو العظماء والاغنياء لمشاهدتهِ ولا يدع احدًا من السوقة يمتزج بهم فزادت المنافسة بينهم رويدًا رويدًا حتى بلغت ما بلغتهُ الآن وصار محل كرستي مجمعًا للاشراف وارباب الثروة

وكانت اثمان الصور حينئذٍ طفيفة جدًّا . ففي اول مزاد أُقيم سنة ١٧٦٧ بيعت صورة من تصوير هلبين باربعة جنيهات وثمانية عشر شلنًا وصورة من صور تشيان بجنيهين وشلنين وصورة من صور غويدو بجنيه وشلن . وبلغ ثمن كل ما بيع في يومين مئتين واربعة واربعين جنيهًا وثمانية عشر شلنًا وهو لو بيع الآن لبلغ عشرات الالوف من الجنيهات . ثم زادت رغبة الاغنياء في ابتياع الصور وزادت مغالاتهم بها حتى ان صورة من صور رينلدز اخذ ثمنها مئة جنيه بيعت في المزاد سنة ١٨٢٨ فبلغ ثمنها الفًا ومئتي جنيه

ولما حدثت الثورة الفرنسوية جعل كثيرون من امراء فرنسا وعظمائها واغنيائها يبيعون ما عندهم من التحف فانتقل كثير منها الى انكلترا ووصل الى محل كرستي فبيعت صورتان منها بسبعة الآف جنيه وهما من تصوير كلود . وشاع ذلك في اوربا فقال المصورون واصحاب الصور ان سوقها في مدينة لندن فقصدوها بصورهم من كل بلدان اوربا وجعلت الدول ترسل معتمديها الى محل كرستي هذا لتسترجع صور اهاليها باي ثمن كان كما حدث في صورة "الحبل بلا دنس" التي بيعت سنة ١٨٥٢ وكانت للمرشال صلت فان حكومة فرنسا اشترتها بنحو ثلاثة وعشرين الف جنيه

قال احد الكتّاب وقد دخل محل كرستي منذ عهد قريب ورأى الصور تباع فيهِ انهُ رأى هناك جماعة من اكبر رجال الانكليز مثل دوق دفنشير ومركيز لنسدون ونحوهما من عظماء

الامَّة وكثيرين من كبار المصورين ومبتاعي الصور لمتاحف اوربا واميركا. فأُتي اولاً بصورة لادي سلينابارك من تصوير غاينسبرو ووقف الدلال ومطرقة العاج في يده ونادى الجمع قائلاً كم تدفعون فقال واحد الف جنيه وقال آخر الفاً وخمس مئة وآخر الفين وآخر الفين وخمس مئة وآخر ثلاثة آلاف وآخر ثلاثة آلاف وخمس مئة ووقفوا عند هذا الحد. فجعل الدلاَّل ينادي ويقول ثلاثة آلاف وخمس مئة جنيه ثلاثة آلاف وخمس مئة جنيه. فعاد الناس الى المزايدة وزادوا مئة بعد اخرى حتى أبلغوها ثلاثة آلاف وثماني مئة جنيه ووقفوا عند هذا الحد فرسا المزاد على احدهم. وهم يقولون ان الصورة ليست من احسن صور المصور غاينسبرو والاَّ لفاقت هذا الثمن كثيراً لان احدى صوره وهي صورة دوقة دفنشير بيعت سنة ١٨٧٦ بعشرة آلاف ومئة جنيه وصورة اخرى وهي صورة لادي ملغراف بيعت سنة ١٨٩٥ بعشرة آلاف جنيه وهي نفسها بيعت بالف وسبعين جنيهاً قبل ذلك ببضع عشرة سنة

وتباع الصور والتحف غالباً من مجاميع اصحابها اذا ماتوا ولم يستطع ورثتهم الاحتفاظ بها او اذا افتقروا او اصابتهم نائبة اخرى من نوائب الدهر. ولا يندر ان تباع التحف التي جمعها الملوك والامراء والعظماء لان الدهر في الناس قلَّب "ان دان يوماً لشخص ففي غد يتغلَّب". وفي اوربا اناس عملهم التفتيش عن الصور القديمة في الاماكن المهجورة وابتياعها بارخص الاثمان والذهاب بها الى حيث تباع باثمان فاحشة. وكثيراً ما تكون مزوَّرة صنعت في ايطاليا او المانيا وعزيت الى مصور قديم مشهور. ويقف صاحبها واصدقاؤه يتزايدون في ثمنها الى ان يتقدَّم غرٌّ جاهل من اصحاب الملايين ويتزايد معهم فيرسو المزاد عليه

ويغالي اولئك الاغنياء بكل التحف النادرة كما يغالون بالصور ففي الربيع الماضي بيعت حقَّة صغيرة من حقق السعوط بستة آلاف واربع مئة جنيه وقد كانت للملك لويس الخامس عشر. وبيعت ثلاثة آنية من خزف سڤر بعشرة آلاف جنيه وكاس من الزجاج المنقوش بالفين وستمئة جنيه

وقد يتزايد المشترون ويفرطون مغايظةً ثم يندمون ولات ساعة مندم. من ذلك ان بعضهم ابلغ صورة "دانيال في جب الأُسود" التي صورها روبنس الى اربعة آلاف وتسع مئة جنيه فرسا مزادها عليه بهذا الثمن ثم باعها لصاحبها بالفي جنيه وقد بيعت هذه الصورة عينها قبل ذلك بمئتي جنيه. وكثيراً ما تباع الصورة بثمن فاحش بناء على انها صورة حقيقية للصور المنسوبة اليه ثم توجد مزورة لا تساوي شيئاً. وقد تباع بثمن بخس لانها تكون مغطاة بالاوساخ ثم يظهر انها من اثمن الصور لكن ذلك صار نادراً الآن لمهارة منتقدي الصور. وقد

باع محل كرستي هذا صورًا سنة ١٨٨٢ بلغ ثمنها اكثر من ستمئة الف جنيه . فاعجب بغنى امة تشتري من دلال واحد ما ثمنهُ ستمئة الف جنيه تمًّا ليس من الحاجيات في شيء

وغني عن البيان ان صورًا يغالي الناس بها الى هذا الحد ويتباعونها بالوف الجنيهات تتجه اليها انظار اللصوص فيحاولون اختلاسها بكل واسطة . وقد نجحوا في اختلاس كثير من الصور المشهورة من ذلك صورة كونتس دتشتير المشار اليها آنفًا . فان بعض اللصوص نزعوها من الاطار الذي حولها ولفُّوها وهربوا بها ثم وجدت وبيعت فاشتراها بيربنت مورغان المثري الاميركي

ومن ذلك ايضًا صورة مار انطونيوس وهي للمصور مورلّو واكبر صوره ومن اجملها وكانت في كنيسة اشبيلية الكبرى وقد عرض دوق ملبرو ان يشتريها بستة وثلاثين الف جنيه فلم تبع لهُ . وسنة ١٨٧٤ شاع ان بعض اللصوص عازمون على سرقتها فضوعف الحرس الذي يحرسها واضيف اليهِ كلبان كبيران . وفي الخامس من شهر نوفمبر وجد خرق كبير فيها فان اللص قطع منها صورة مار انطونيوس وهي تصلح ان تكون صورة على حدتها . وبذلت الحكومة الاسبانية جهدها في التفتيش عن السارق والصورة المسروقة ونشرت صورتهما بالفوتوغراف في الآفاق فلم تقف لها على اثر . وفي السنة التالية عُرضت الصورة المسروقة للبيع في نيويورك باميركا والذي عُرضت عليهِ عزف انها الصورة المسروقة واخبر قنصل اسبانيا بذلك واشتراها بمئتي جنيه وكان الذي باعها رجلاً اسبانيًا فقبض عليهِ وظهر انهُ هو السارق وردت الصورة الى مكانها

ومنها صورة المجدلية متكئة تقرأ وهي اجمل صور المصور كورجيو سرقت من متحف دزسدن سنة ١٧٤٧ هي وصورتان اخريان غيرها . والظاهر ان السارق لم يكن راغبًا فيها بل في الحجارة الكريمة المرصعة بها فانها وجدت بعدئذٍ في تبّان واطارها منزوع منها . ومثل ذلك ما اصاب صورة من صور رفائيل فانها وجدت عند فلاح في ايطاليا سنة ١٨٧٦ وقد وضعها في شباك مكسور ليسدهُ بها ورآها عابر طريق فاستغرب وضعها في شباك مكسور وطلب ان ينظر فيها وكان خبيرًا بالصور فعرف للحال انها صورة رفائيل التي صورها ليت روفر

ومنذ خمس سنوات كان سيفي متحف الصور الانكليزية المعروف بالرواق الوطني صورة سيدة واولادها الثلاثة من تصوير السر يشوع رينلدز اهدتها اليهِ لادي هملتون سنة ١٨٩٢ ثم اتضح ان لادي هملتون كان يحق لها ان تمتلك هذه الصورة ما دامت حية ولكن لا يحق

لها ان تبيعها ولا ان تهبها فاستردها اصحابها سنة ١٨٩٩ وباعوها للمتر بيت باثنين وعشرين الف جنيه

ولا تفسر مغالاة الناس بالصور والتحف الى هذا الحد الاَّ برغبة الاغنياء في الامتياز على غيرهم فيرون ذلك في احراز الاشياء النادرة او المنقطعة النظير وتقع بينهم المنافسة فيوصلون الصورة الى مئة الف جنيه وحقة السعوط الى ستة الآف جنيه كما تقدَّم

العمر والتدابير الصحية

لم تبقَ شبهة في ان التدابير الصحية تطيل العمر. الاَّ ان اظهار ذلك بالارقام ليس سهلاً في هذا القطر كما هو سهل في غيره لأن احصاء السكان والمواليد والوفيات حديث فيه. اما البلدان الاوربية ولاسيما المدن الانكليزية فالاحصاء فيها قديم ودقيق وقد ظهر من احصاء الوفيات في مدينة لندن منذ ستين سنة الى الآن ان العمر آخذ في الازدياد فكان متوسط الوفيات السنوي نحو ٢٥ في الالف فصار الآن نحو ١٥ في الالف اي كان متوسط عمر الانسان ٤٠ سنة فصار الآن نحو ٦٦ سنة وهاك جدول متوسط الوفيات السنوي منذ سنة ١٨٤١ الى آخر العام الماضي

المتوسط السنوي بين سنة	١٨٤١ و١٨٥٠	٢٤٫٨
" " " "	١٨٥١ و١٨٦٠	٢٣٫٧
" " " "	١٨٦١ و١٨٧٠	٢٤٫٤
" " " "	١٨٧١ و١٨٨٠	٢٢٫٥
" " " "	١٨٨١ و١٨٩٠	٢٠٫٥
" " " "	١٨٩١ و١٩٠٠	١٩٫٢
المتوسط	١٩٠١	١٧٫١
"	١٩٠٢	١٧٫٢
"	١٩٠٣	١٥٫٢

ويظهر من ذلك ان متوسط عمر الانسان كان نحو ٤٠ سنة بين سنة ١٨٤١ و١٨٥٠

فصار نحو ٤٢ سنة بين ١٨٥١ و١٨٦٠ و٤٤ بين سنة ١٨٧١ و١٨٨٠ و٤٨ بين سنة ١٨٨١ و١٨٩٠ و٥٢ بين سنة ١٨٩٠ و١٩٠٠ ثم بلغ ٥٨ سنة ١٩٠١ ونحو ٦٠ سنة ١٩٠٣ . ومعلوم ان الوفيات لاتقع على معدّل واحد في كل سنة من سني العمر بل الاطفال والشيوخ معرضون للموت اكثر من الشبان والكهول . وقد أُحصي عدد السنين التي عاشها الناس بعد ان بلغوا اعمارًا معلومة وذلك من سنة ١٨٨١ الى سنة ١٨٩٠ ومن سنة ١٨٩١ الى سنة ١٩٠٠ فظهر انهم عاشوا في العشر السنوات الاخيرة اكثر مما عاشوا في العشر السنوات التي قبلها . فالطفل المولود حديثًا قُدِّر لهُ من العمر اقل من اربعين سنة بين سنة ١٨٨١ وسنة ١٨٩٠ وواحد واربعون سنة بين سنة ١٨٩١ وسنة ١٩٠٠ وابن خمس سنوات قدِّر لهُ خمسون سنة واربعة اعشار السنة في المدة الاولى وواحد وخمسون سنة وستة اعشار في المدة الثانية فزاد معدل العمر نحو سنة الى حد السنة الخامسة والعشرين واقل من ذلك فوقها . ولذلك لا عجب اذا ربحت شركات ضمان الحياة ربحًا طائلاً في السنين الاخيرة لان الاموال السنوية التي تقاضاها من الذين تضمن حياتهم مبنية على متوسط العمر منذ ثلاثين سنة اي ان الانسان الذي كانت تضمن حياتهُ وهو ابن عشرين سنة ولا تنتظر انهُ يعيش ايضًا اكثر من ٣٧ سنة صار يعيش تسعًا وثلاثين سنة فيزيد ربحها من السنويات فقط نحو ٦ في المئة ولا سبب ذلك الاَّ شيوع التدابير الصحية وتقدُّم العلوم الطبيَّة وتوفر اسباب المعيشة . ولعلَّ ذلك جارٍ في القطر المصري ايضًا لشيوع التدابير الصحية فيهِ واهتمام الناس بتطبيب مرضاهم وتمريضهم . ولكن ليس عندنا حتى الآن احصاءات مدققة لاظهارهِ

ثم ان الفقر والمسكنة من اسباب قصر العمر والغنى والرفاهة من اسباب طولهِ . فالغني يعمّر اكثر من الفقير لانهُ اقدر منهُ على اكل الطعام المغذي وعلى اتقاء الامراض والتداوي منها وقد ثبت ذلك بالاحصاء ايضًا في جهتين من مدينة لندن الواحدة يسكنها الاغنياء والثانية يسكنها الفقراء فظهر ان اطفال الاغنياء يعيشون ٥١ سنة واطفال الفقراء ٣٦ سنة . واولاد الاغنياء الذين بلغوا الخامسة من العمر يعيشون ايضًا ٥٧ سنة واولاد الفقراء الذين من عمرهم يعيشون اقل من ٤٩ سنة وشبان الاغنياء الذين عمرهم عشرون سنة يعيشون ايضًا ٤٤ سنة واما شبان الفقراء الذين من عمرهم فلا يعيشون ايضًا الاَّ ٣٦ سنة . ويقل الفرق رويدًا رويدًا بين الاغنياء والفقراء حتى يبلغ نحو سنتين فقط في الشيوخ الذين يبلغون ٧٥ سنة من العمر . ويظهر ذلك كلهُ في الجدول التالي وهو عن ثلاث سنوات — من سنة ١٨٩٧ الى سنة ١٩٠٠

	الاغنياء	الفقراء
متوسط ما يعيشهُ الطفل	٥٠٫٨	٣٦٫٥
متوسط ما يعيشهُ ايضاً ابن ٥ سنوات	٥٧٫٤	٤٨٫٧
" " " " " ١٠ " "	٥٣٫٣	٤٥٫٠
" " " " " ٢٠ سنة	٤٤٫٢	٣٦٫٤
" " " " " ٣٠ "	٣٩٫٨	٣٣٫٤
" " " " " ٣٥ "	٣٥٫٥	٢٨٫٦
" " " " " ٤٠ "	٣٧٫٥	٢١٫٩
" " " " " ٥٠ "	٢٠٫٣	١٦٫٢
" " " " " ٦٠ "	١٤٫١	١١٫٣
" " " " " ٧٥ "	٧٫١	٥٫٢

اهي لنفرض اننا نظرنا في تواريخ الف طفل من اولاد الاغنياء فنرى بعضهم يموتون حال ولادتهم وبعضهم في السنة الاولى من عمرهم وبعضهم في السنة الثانية او الثالثة او الرابعة وهلمَّ جرًّا وقد يعمر بعضهم مئة سنة او اكثر واذا جمعنا السنين التي عاشوها كلهم وجدنا مجموعها ٥٠٨٠٠ سنة . واذا فعلنا كذلك بالف مولود من اولاد الفقراء وجدنا مجموع السنين التي عاشوها كلهم ٣٦٥٠٠ سنة فقط

واذا اخذنا الف ولد من اولاد الاغنياء عمر كلٍّ منهم عشر سنوات وجمعنا السنين التي يعيشونها كلهم بعد ذلك وجدنا مجموعها ٥٣٣٠٠ سنة . واذا اخذنا الف ولد من اولاد الفقراء عمر كلٍّ منهم عشر سنوات وجمعنا السنين التي يعيشونها كلهم بعد ذلك وجدنا مجموعها ٤٥٠٠٠ سنة . واذا اخذنا مئة شيخ من شيوخ الاغنياء عمر كلٍّ منهم ٧٥ سنة وجمعنا السنين التي يعيشونها بعد ذلك بلغ مجموعها ٧١٠٠ سنة واذا اخذنا الف شيخ من شيوخ الفقراء عمر كلٍّ منهم ٧٥ سنة وجمعنا السنين التي يعيشونها بعد ذلك بلغ مجموعها ٥٢٠٠ سنة . (هذا في بلاد الانكليز واما في القطر المصري فمتوسط العمر اقل من ذلك كثيرًا كما لايخفى)

وليس المراد ان كل غنيّ يعمر اكثر من كل فقير كلاَّ فان بعض الفقراء يعمرون اكثر من بعض الاغنياء وقد ترى شيخًا فقيرًا عمرهُ مئة سنة او اكثر ولا ترى شيخًا غنيًّا بالغًا هذا العمر ولكن المراد ان مجموع السنين التي يعيشها جمهور كبير من الاغنياء هو اكثر من مجموع السنين التي يعيشها جمهور مثلهُ عددًا من الفقراء . وبعبارة أُخرى ان الامم الغنية يعمر افرادها اكثر مما

يعمر الافراد الامم الفقيرة او ان الغنى يطيل العمر والفقر يقصره كما ان مراعاة التدابير الصحية تطيل العمر بنوع عام وعدم مراعاتها يقصره . فالعلم والغنى والراحة والرفاهة تؤول كلها الى اطالة العمر وازدياد عدد السكان ولكنها قد تؤول الى امر يقل به عدد السكان وهو قلة المواليد اما لضعف في البنية او لخوف من تعب الولادة ونفقات الاولاد . وهذا هو السبب الاكبر الذي ابقى عدد السكان في فرنسا على حالهِ منذ سنين عديدة الى الآن مع توفر اسباب الراحة والرفاهة لهم فاذا زالت الاسباب التي تقلل المواليد فالامم التي تعتني بالتدابير الصحية تعمر وتنمو اكثر من غيرها

حياة الجماد

من مقالة للسيو داستر احد اساتذة مدرسة السوربون في باريس

يبدر الى الذهن لاول وهلة انهُ لا يمكن ان يكون بين الاجسام الحية وغير الحية مشابهة جوهرية اذ اي شبه بين الحجر والشجر والاسد فان مقابلة الحجر الجامد بالحيوان المتنقل والنبات النامي تجلي عن اختلاف عظيم بينها وتوضح لنا ان بين الاجسام الحية وغير الحية بعداً شاسعاً

واول اختبار الانسان يؤيد هذا القول والابحاث السطحية توافقهُ فيشأ الطفل ويشبُّ وهو يرى ان الحيوان والنبات يفرقان عن الجماد فرقاً عظيماً جداً . ولكن كلما زادت معارفنا ازدنا ارتياباً في عظم ذلك الفرق وتبيَّن لنا انهُ لا تصحُّ قسمة الاجسام الى حية وغير حية حتى صار العلماء يحدثونك عن حياة الجماد وهم انما يقولون ذلك لانهم يرون في بعض انواع الجماد كثيراً من اوصاف الحياة وفي اجسام اخرى دلائل خفية تدلُّ على علاقة الاجسام الحية بغير الحية . مثال ذلك ان بعضهم رأى في الاجسام المتبلورة معظم اوصاف الاجسام الحية فان لها شكلاً محدوداً وميلاً الى اتخاذ ذلك الشكل دائماً واصلاحهِ مما يطرأ عليهِ من الطوارىء وحجمها يزيد من السائل الذي تتكون منهُ . واغرب من ذلك ان فيها جميع مزايا التوليد . وظهر لبعض العلماء الطبيعيين ان عدم تغير بعض الاجسام التي يظن عادة انها اصلب من غيرها وعدم تحركها مثل الزجاج والفولاذ والنحاس وغيرها انما هو امر ظاهري فقط . فان تحت سطح الجسم الذي يظهر لنا جامداً لا يتحرك دقائق تتزاحم وتتحاول وتترتب على اشكال محدودة مطاوعة لاحوال ما يحيط بها . وقد يمرُّ عليها سنين طويلة قبلما تتخذ لها شكلاً تبقى عليهِ دائماً

ولزيادة الايضاح نذكر الاوصاف الجوهرية التي تتنازعها الاجسام الحية وهي الاوصاف التي يقال انهم وجدوها في الاجسام غير الحية ايضاً بلا زيادة ولا نقصان. ويقسم الكلام في ذلك الى سبعة ابواب تحتها فصول

الباب الاول

في الحياة عموماً وفيهِ فصلان

الاول آراء الاقدمين والشعراء . والثاني آراء الفلاسفة

﴿ آراء الاقدمين والشعراء ﴾ ان ما يقولهُ العلم عن مشابهة الاجسام غير الحية للاجسام الحية يطابق تصورات الاقدمين والشعراء في ذلك . فقد كان الاقدمون يعتقدون ان جميع الاجسام الطبيعية حية كانت او غير حية اعضاء جسم حيّ عامّ سموهُ بالجسم الحي الكبير احترازاً من الجسم الحي الصغير اي جسد الانسان . ونسبوا اليهِ قوة حيوية تدير حركاتهِ وتسلط على اعمالهِ وتشبه القوة الحيوية التي في الانسان . وقوة عقلية تدرك تلك الاعمال وتشبه نفس الانسان . وقد كان لتلك الحياة العمومية او النفس العمومية شأن عظيم في نظام ما وراء الطبيعة الذي وضعوهُ . وجرى الشعراء ذلك المجرى فكان دأبهم تجسيم الاشياء الطبيعية لتقريبها من افهام الناس وتصوراتهم ونسبة الحياة او الروح الى ظواهرها فقال احدهم " لكل شيء من الاشياء صوت فللريح صوت وللهب صوت وللامواج والاشجار والاحجار صوت . وفي تحيا ولكلٍّ منها روح داخلهُ " وسموا اصوات الظواهر الطبيعية باسماء خصوصية مثل هزيم الرعد وحفيف الشجر وجعجعة الرحى وصرير الباب وزفير النار وما اشبه

﴿ آراء الفلاسفة ﴾ كان طاليس الفيلسوف اليوناني يعتقد ان كلّ الاجسام الطبيعية ذات حياة وكذلك كبار العالم الفلكي فانهُ كان يقول ان الكرة الارضية حيوان كبير يتأثر بحركات النجوم فيخاف دنوّ بعضها منهُ ويبدي خوفهُ بالزوابع والعواصف والزلازل وان مدّ البحر وجزرهُ تنفس ذلك الحيوان وانهُ يعرق ويفرز الفضول ويجري الدم في عروقهِ ويأكل وبعض طعامهِ ماء البحر فانهُ يبتلعهُ باقتية متعددة . على ان كبار عاد عن هذه الخرافات في اواخر ايامهِ وقال انهُ انما عنى بروح الاجسام السموية القوة التي تحركها لاغيرُ

الآن الفصل بين الاجسام الحية وغير الحية بدأ من عهد الفلاسفة الذين ادخلوا في العلم مبدأ بقاء الحياة والارتقاء واوهم لبنتز فقد قال " انهُ لا توجد مملكة غير آلية بل الموجودات كلها آلية تشمل جميع صور الجماد والنبات والحيوان . وان لاشيء خالٍ من الحياة بل الحياة عامة لكل شيء " فيترتب على هذا القول انهُ ليس ثمة فرجة او حلقة مفقودة في سلسلة الظواهر

الطبيعيَّة وان كلَّ شيء يرتقي شيئاً فشيئاً وان الموجودات غير الآلية اصل الموجودات الآلية. واما الحياة فلم تكن موجودة على وجه الارض دائماً بل ظهرت في احد العصور الجيولوجية بسبب ملاءمة الاحوال ولكن مبدأ بقاء الحياة يضطرنا الى التسليم بان الحياة لم تكن معدومة حقيقة بل حكماً وانها كانت على صورة اولية خفيَّة

وذهب بعض الفلاسفة المحدثين مذهب لبنتز فقالوا ان المادة الحية وغير الحية ليستا نوعين مختلفين بل صورتان من مادة واحدة مختلفتان في درجتهما وكثيراً مايكون اختلافهما قليلاً جداً. فاذا كانت المسألة مسألة اختلاف في الدرجة فلا تناقض كالبرد والحر فانهما ليسا متناقضين بل هما درجتان مختلفتان من درجات الحرارة

هذا وان مايحملنا على ازالة الحدِّ الفاصل بين المملكة الآلية والمملكة غير الآلية والاعتقاد بان في الجماد اصول حياة اولية هو نفس ما يحملنا على التسليم بانهُ ليس بين الظواهر الطبيعيَّة الاخرى فرق جوهري اساسيٌّ وغاية مافي الامر درجات تحوّل وانتقال بين الجسم الحي والجسم غير الحي والجسم العاقل والجسم غير العاقل والفكر وعدم الفكر والمدرك وغير المدرك. فهذا الانتقال من الشيء الى ضدهِ حسب الظاهر يخالف اختبارنا العادي ولكن الذين يعرفون ما للظواهر الطبيعية من الدرجات غير المتناهية يسلمون بالانتقال المذكور. فلا عجب بعد هذا اذا حذا العالم حذو الفيلسوف وذهب الى ان في الجماد اثراً من الحياة وان فيهِ جميع الصفات الجوهرية التي تميز الاحياء. ولكن لابدَّ لهُ اولاً من ان يبرهن على وجود تلك الصفات بالمشاهدة والامتحان وعلى ان الجواهر الفردة ودقائق المادة ليست ميتة بل هي عناصر حيَّة متحركة لها صورة من صور الحياة الدنيا المشاهدة في جميع انواع المادة مثل الجذب والدفع والتأثر بالمؤثرات الخارجية ونغير قوة التوازن وتجمع الدقائق على اشكال منتظمة طبقاً لتراكيب محدودة وافراز مركبات كيماوية مختلفة

وذهب الفلاسفة في بيان اوجه المشابهة بين المادة الحية وغير الحية الى ابعد من ذلك فقالوا ان في قوى المادة غير الحية وخصوصاً القوى الكيماوية اثراً قليلاً من الاميال التي تتسلط على اعضاء الاجسام الحية اي الحس. فان ردَّ الفعل الذي يصدر عن المادة غير الحية يدلُّ عندهم على وجود نوع بسيط من الشعور تستطيع تلك المادة ان تميز بهِ بين النافع وضدهِ فتختار النافع وتنبذ الضارّ. وهذا هو المبدأ العام في حركة الاشياء وعليهِ الفيلسوف امبيد وكليس اليوناني. وديدرو وكبانه من الفلاسفة المحدثين ومعظم العلماء الماديين. فانهم التمسوا في ادنى المخلوقات غير الحية اثراً للحياة والقوة العقلية التي يبزغ شعاعها في فجر المخلوقات الحية

وقالوا ايضاً ان تمثيل المادة غير الحية للمادة الحية نتيجة طبيعية لصحة مبدأي بقاء الحياة والارتقاء. على ان في طيّ هذين المبدأين مبدأً آخر لا يصرّح اولئك الفلاسفة به جهاراً بل ضمناً وهو انهُ مهما تعددت تراكيب العناصر لم ينتج منها مركّبٌ جديدٌ يختلف في جوهره عن جوهر العناصر التي يتركب منها. فديدرو وكباند يقولان ان الانسان صلصال حيٌّ وهو ايضاً حيوان عاقل. ولما كان يستحيل نشوء العاقل من غير العاقل فلا بدَّ ان يكون الصلصال قد احتوى اصل العقل. ولكن ألا يمكن ان يكون العقل نتيجة ترتيب دقائق الصلصال. فاذا أنكرنا ذلك وجب ان ننكر ايضاً ان اختلاف الترتيب والتنظيم في المادة المرتبة المنتظمة يفضي الى خاصة جديدة تختلف عن الخاصة التي كانت لها قبل ذلك الاختلاف. وقال فيلسوف آخر ان البروتوبلازم الحيّ انما هو مجموع عناصر بسيطة ولا بدَّ لتلك العناصر من ان تحوي مبدأ الحياة. وعليهِ فاذا لم تكن الحياة في كل عنصر فلا يمكن ان تنتج عن اتحاد العناصر وائتلافها

وقال العالم لدانتيك ان الانسان وسائر الحيوانات مجموع جواهر. واهون على المرء ان يسلّم ان الادراك الانساني ناتج عن مبادىء الادراك المتضمنة في الجواهر التي يتألف منها من ان يعدَّهُ ناتجاً عن تركّب عناصر لا اثر للادراك فيها. وقال هيكل ان الحياة عامة لكل المواد ولا يمكننا ان نتصور وجودها في مركبات المادة ما لم نتصور وجودها اولاً في العناصر التي تتركب المادة منها. واليك طريقة استدلالهم للوصول الى النتيجة المتقدمة

ان عوامل الترتيب والتجمع والتركيب لاتحدث في جسم مركّبٍ شيئاً جديداً يختلف في جوهره عن جوهر العناصر التي يتألف الجسم منها. والتجمع يكسب الجسم المركّب خاصة هي نفس الخاصة التي في عناصره البسيطة ولكن ارقى منها. على ان ما يعدهُ بعضهم اولية تستغني عن البرهان ليس في الحقيقة اولية فهم يظنون قولهم ان ليس في المركّب شيء لا يوجد في العناصر التي يتألف منها اولية بديهية لا تحتاج الى اثبات وهي في الحقيقة فرض يفرضونهُ. وقولهم ان ترتيب المادة وتجمعها على اشكال عجيبة لايحدثان فيها شيئاً جديداً قول يفتقر الى اثبات

ولتطبق هذا المبدأ على الكائنات المرتبة فنقول ان جميع الكائنات الطبيعية هي في الحقيقة ترتيبات ومجموعات مؤلفة من مادة واحدة. وينتج عن الفرض المتقدم انها تختلف بعضها عن بعض في الكمية والشكل لا في الكيفية او الجوهر اذ يمكننا ان ننتقل من واحد منها الى الآخر ولا نجد بينها ما يعترض في سبيلنا. فيظهر من ذلك ان ناموس بقاء الحياة نتيجة بسيطة للفرض الاساسي وهكذا يقال في ناموس النشوء الارتقاء

وهذه القاعدة ليست مختصة بفريق من العلماء دون الآخر فان لينتز لم يكن من العلماء الماديين ومع ذلك فانهُ نسب الى عناصر المادة وجواهرها حياة بل نوعاً من الفكر . وكذلك الاب بوسكوتش اليسوعي واحد اساتذة كلية رومية فانهُ نسب الى الجواهر نوعاً من الحياة الدنيا . وسان توماس فانهُ قال بان للاجسام غير الحية نوعاً من الحركة والميل الى بعض الاشياء دون غيرها

الباب الثاني

وحدانية الاجسام الحية وغير الحية

وهناك طريقتان للبرهان على كون المادة الحية وغير الحية شيئاً واحداً في الجوهر . احداهما ان نظهر للعيان اشتقاق الاحياء العليا من الاحياء الدنيا وذلك يستلزم ان نصنع جسماً حيًّا تامًّا بجميع اجزائهِ سواء كان نباتاً حقيراً او حيواناً دنيئاً من مواد غير حية . فان استطعنا ان نفعل ذلك كان برهاناً لا يُرَدّ على ان جراثيم الحياة كامنة في دقائق الاجسام غير الحية . ولكن هذا غير مستطاع والعلم قاصر عنهُ . وهذه الطريقة هي ما يسمونها بالتولد الذاتي . فقد كان القدماء يعتقدون بها حتى بين الحيوانات المرتقية في سلَّم الخلق وعليهِ قال فان هلمونت ان الفيران تخلق من الطرق الخلقة المخلوطة قمحاً باختمار لا تعرف كيفيتهُ . وذكر ديودورس انهم شاهدوا حيوانات تتولد من ظمي النيل وهي غير تامة الخلقة . وكان ارسطو يعتقد بتولد بعض انواع السمك على هذه الطريقة . ورأى الراعي الذي ذكرهُ فرجيل الشاعر الروماني الشهير في قصائدهِ اسراب النحل تتولد من جنبي ثور ميت . وكانوا يعتقدون ايضاً ان الذباب يتولد من اللحم الفاسد والدود من الاثمار والامعاء

وطريقة التولُّد هذه نبذت الآن بعد ان ضربها باستور الضربة القاضية فانهُ أبان ان ابسط الاحياء المكروسكوبية خاضع للناموس العام وهو ان كل حيٍّ من حيٍّ آخر

على انهُ وان لم يتيسر للانسان اثبات طريقة التولد الذاتي او تولد الحي من غير الحيّ الاَّ ان هيكل يقول انها كانت الطريقة التي تولدت بها الاحياء الارضية قديماً حينما اخذت الكرة الارضية تبرد وقشرتها تجمد والبخار المائي المحيط بها يتكاثف فنشأ عن ذلك احوال ملائمة لظهور الاحياء الاولى التي تولدت منها الاحياء المعروفة تدريجاً . ويقدر اللورد كلفن ان ذلك جرى منذ عشرين او اربعين مليون سنة . ويقول معظم الفسيولوجيين انهُ اذا عرفنا تلك الاحوال تماماً وامكننا احداثها لم يبعد ان نتوصل الى نتيجتها اي ان نصنع جسماً حيًّا تامَّ الاجزاء من المواد غير الآلية . والذين يذهبون هذا المذهب يقولون ان قصور التجربة والامتحان من هذا

القبيل انما هو وقتيٌّ وسببهُ قلة معرفتنا وضعف وسائطنا وعليهِ فليس ثمة مايدلُّ على ان احداث الحي من غير الحي مستحيل

اما اهل البيولوجيا فلا يرون هذا الرأي كلهم . بل ان عددًا كبيرًا منهم يؤكدون انهُ يستحيل نشوء الحياة من اجتماع المواد غير الآلية بالقوى الطبيعية ويقولون انهُ لا يمكن ان تكون الحياة قد نشأت على وجه هذه الارض بفعل المادة غير الحية والقوى التي لاتزال تتسلط عليها الى الآن . ومن هؤلاء العالمان كوهن ورختر الالمانيان فانهما يقولان ان الحياة لم تنشأ في ارضنا بل نُقلت اليها من عالم آخر على صورة جراثيم تشبه الخلايا التي تتركب الاحياء منها عندنا على ما هو معلوم . وهي اما ان تكون قد نقلت الينا بواسطة الشهب والنيازك التي تنقضُّ علينا من الفضاء او انها وصلت الينا من الفضاء على صورة غبار كوني . وصاحب المذهب الاول كاتب فرنسوي اسمهُ الكونت دي سال جيون ومذهبهُ ليس بعيدًا عن الصحة كما قد يبدو الى الذهن فان كلفن وهلمهلتز وافقاهُ عليهِ على بعد شهرتهما وعظم خبرتهما بهذه الشؤون . ثم انهُ يظهر من تحليل طيف السدام المختص بذوات الاذناب ان فيهِ مادة هيدروكربونية . وقد وجدوا الكربون ونوعًا من المادة الآلية في كثير من النيازك ايضًا

ولكنَّ هناك اعتراضات كثيرة على هذا المذهب منها ان وجود الجراثيم الكونية منافض لنواميس النشوء والارتقاء . ومنها ان الشروط اللازمة للحياة لا توجد في الاجسام التي بين السيارات (كالشهب والنيازك) . ومنها ان النيازك تحمى متى بلغت جوَّ الارض الى حدِّ ان حرارتها تميت كلَّ ما يمكن ان تنقلهُ الينا من الجراثيم . ولكن هلمهلتز يردُّ هذا الاعتراض بقولهِ ان حرارة النيازك سطحية لا تصل الى داخلها فتسلم الجراثيم التي هناك . اما المذهب الثاني فمذهب رختر وكوهن كما تقدم ومآلهُ ان الجراثيم الحية الاولى بلغت ارضنا ممزوجة بالغبار الكوني الذي يعوم في الفضاء ويتساقط الى الارض على الدوام . ومن الاعتراضات على هذا المذهب انهُ ان سلمت تلك الجراثيم بسقوطها البطيء من الحرارة الشديدة التي تصيب النيازك بسقوطها السريع بقيت معرضة لفعل اشعة النور وهي تقتل الجراثيم عادة

ومن العلماء من لا يسلِّم باحد هذين المذهبين ولا يرى ما يوجب فرض انتقال الاحياء الاولى من العوالم الاخرى الينا بل يقول ان الاحياء وجدت على الارض في كل زمان حتى الزمان الذي كانت الارض فيهِ شعلة من نار ولكنها لم تكن تفس الاحياء التي نعرفها الآن اذ لا بدَّ ان تكون قد تغيرت تغيرًا عظيمًا على مر الدهور . فان الاحياء الاولى كانت تختلف كلَّ الاختلاف عن الاحياء الحاضرة التي يختلُّ نظامها بارتفاع الحرارة ارتفاعًا قليلاً .

وهذا المذهب يظهر اقرب الى الفرض منهُ الى الحقيقة واشبه بتصورات كبلر وغيره من اصحاب المذاهب الخيالية ولكنهُ مطابق من بعض الوجوه لآراء المحدثين في حياة المادة ووجه مطابقتهِ لها في ما ينطوي عليهِ من الارتقاء في مواد الكرة الارضية

وصاحب هذا المذهب برايرومن رأيهِ ان الاحياء الاولى وجدت في النار ثم طرأ عليها ما طرأ من التغيير فباتت على مثل ما تراها الآن. ومع ما طرأ عليها من التغيُّر العظيم لم يتغير عددها بل ان مجموع الاحياء في الكون بقي على ما كان عليهِ

هذه هي اراء الشعراء وعلماء ما وراء الطبيعة والفلاسفة في حيوية الاجسام غير الحية ولكن العلم الحديث ينظر اليها نظرًا آخر ويرى ان فيها اثرًا لعمل العوامل التي تتسلط على الاجسام الحية وخواصها الاساسية (ستأتي البقية)

مصطفى فهمي باشا وتجران باشا

نقلاً عن المقطم

لما اشتدَّ في العاصمة الحر ضاق منا الصدر وعيل الصبر فملنا التخيير والتحرير ورحلنا عن العاصمة ومجرنا المهجير وجئنا رمل الاسكندرية التغير تشرح الصدور بنسيمهِ العليل وتنعش النفوس بشمألهِ البليل فالفيناهُ مصيفًا تمَّ اعتدالهُ وشغف القلوب جمالهُ وقرب على سكان العاصمة وصالهُ. البحر يرسل النسيم اليهِ والرياض والحدائق تنثر الورود عليهِ ولطف اهلهِ يجعلهُ جنة الانس للقادم اليهِ فحمدنا الله على انهُ كان نصيبنا في هذا الصيف ولم نتحسر على فراقهِ كما تحسر الذين قصدوا اوربا فوجدوها شبه سقر من شدة الحر ولا عانينا من صروف الايام ما يعانيهِ المصطاف في بر الشام. واسعدنا الحظ بمنزل في الابرهيمية اجتمعت فيهِ اسباب النزهة والراحة والتسلية فالبحر يرغي ويزبد على اركانهِ وامواجهُ تتنفس نهارًا وليلاً تحت جدرانهِ والنسيم البليل لا ينقطع لحظة عن سكانهِ. وجماهير المتنزهين على الشاطئ يؤنسونهُ ساعات الوحشة ووقوعهُ بين الناس في اطراف المنازل يجعلهُ شبه قاعة الاجتماع لطالب التسلية والمحاضرة وشبه صومعة المعتزل لطالب التأمل والتفكير. ومما زاد توفيقنا بهِ توسطهُ بين صحب لنا من خيرة الانام وصفوة القوم الكرام فركوب الترام هنيهة من الزمان يوصلنا غربًا الى الاسكندرية حيث الاخوان والخلان يضيق عن عدهم المقام ويعجز عن وصف لطفهم اللسان. ويوصلنا شرقًا الى قصر حضرة الماثل الخواجا وهبي كرم الذي فاق قصور الرمل في عظمتهِ

وزخرفته وزينته والى منزل صهرهِ الوجيه الاديب الخواجا ديمتري خلاط ومنزل حضرة الوجيه الماجد الخواجا جورج كرم وحضرة صهرهِ الوجيه الخواجا الياس دياس ومن جهة اخرى الى قصر سعادة الهمام سابا باشا مدير البوسطة العام حيث لطف السكان يحكي بهجة المكان وغير ذلك كثير من المنازل والقصور حيث الاصدقاء والخلان مبثوثون الى ما وراء سان ستفانو والسراي عدا الخلان والجيران النازلين على قربٍ منا في الابرهيمية نفسها ونحوهم من الافاضل الذين سبونا بانسهم ولطفهم واسرونا بجميلهم ومعروفهم في زياراتهم وأنسونا الحابر والاقلام ببهجة اجتماعاتهم وكرمهم في ولائمهم ودعواتهم وحسن مسامراتهم في منتزهاتهم

اخبار الجرائد المحلية

بينما كنا بالامس جالسين على شرفة تطل على البحر والامواج الخضر تتعالى تحت اعيننا ثم تنقلب وتصدم الصخر فتكسو الشاطئ حلة ناصعة البياض . ثم تعود وهي تجج وتغيب في اللج اذا الخادم قد اتانا حاملاً الجرائد المحلية التي تصدر في العاصمة والاسكندرية فقلبنا النظر فيها فاذا بعضها ينعي المرحوم تجران باشا الذي مثل في زمانهِ دوراً عظيم الشان على مرسح السياسة المصرية . وبعضها ينشر كتاباً من ابرهيم بك الهلباوي المحامي يفصح فيهِ عما يجد في نفسهِ من السرور بالسفر مع عطوفة مصطفى باشا فهمي رئيس نظار مصر في باخرة واحدة لان سفرتهُ يسرت عليهِ محادثة عطوفتهِ والتمتع برقتهِ والاطلاع على آرائهِ القانونية والاجتماعية و يعترف في غضون ذلك بان كل ما كتبهُ وما قالهُ ايام ما كانوا يسمونهُ "بالنهضة المصرية" كان خطاء في خطاء واضغاث احلام صادراً عن قلة التجربة والاختبار وعدم معرفة حقائق الامور . ويقول ان الجفاء الذي كان يشعر بهِ ايام تلك "النهضة" عند نظرهِ "الى شخص عرف بانهُ موالٍ للاحتلال — يعني بهِ مصطفى باشا فهمي — قد تبدل الآن بمحبة واحترام حيث دلت التجارب على ان مقاومة الاحتلال ان لم تجلب ضرراً فلا تفيد فائدة . دلتنا التجارب على ان البناء الذي كنا نسعى لتدعيمهِ والاستقلال بظلهِ قائم على اساس ضعيف" اه

هذه الاقوال خطها قلم ابرهيم بك الهلباوي ونشرتها جريدة المؤيد في هذه الايام كما خط قلمهُ المقالات التي عنوانها "الى اي طريق نحن مسوقون" ونشرتها جريدة المؤيد حين "النهضة" في هاتيك الايام

وتصفحنا جرائد اخرى سميت منذ ايام النهضة "بالجرائد الاسلامية" تمييزاً لها عن سائر الجرائد المصرية فالفينا فيها طعناً صارعاً في الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد ووصف سخط الرأي العام لما فعل بفضيلة السيد احمد عبد الخالق السادات ووصف سقوطهِ عند الجمهور

وانحطاط منزلة جريدته عند قرائها الى غير ذلك مما يشعر بان اصحاب " الجرائد الاسلامية " مصممون على اسقاط المؤيد وصنع صاحبه ومحق ثقة الجمهور به في هذه الايام كما رفعوا منزلتهُ عند القراء واحطُّوهُ محل الثقة منهم تارة باقلامهم واقوالهم وطوراً بافعالهم واموالهم ايام " النهضة "

اخبار طوتها الايام

فقراءة ما تقدم من الاسماء والاقوال هاجت اعماق النفس منا كما كانت الريح تهيج لجج البحر امام اعيننا واعادت الينا ذكرى حوادث مضت ورسوماً بقيت على لوح الذاكرة بعد ان طوت الايام اصحابها وعفت المنون آثارهم فتذكرنا ليلة من ليالي اكتوبر سنة ١٨٩٣ كنا قد انتهينا فيها من عناء يوم كثير الاشغال والهموم وجلسنا على شرفة المنزل في القاهرة نلتمس الراحة بالانفراد والسكون واذا جرس الباب يقرع فلما فتح الخادم دخل صديق تحت جنح الغسق وطلب مقابلتنا في الحال وكان رحمهُ الله من الاصدقاء الذين اشتد الوداد بيننا وبينهم فأدخلهُ الخادم الينا بلا امهال وكانت لوائح القلق والاهتمام تلوح على وجهه . فما لبث ان جلس حتى كاشفنا بسره فقال علمت من فلان وفلان — وكلاهما ثقة عندكم في صحة الاخبار — اننا مشرفون على انقلاب واضطراب واختلاط واختباط فان الجناب العالي مصمم على امر جلل وفعل خطير سيكون من بعده صراع شديد ونزاع كثير وقد عزم ان يجعل فاتحة تصميمه اسقاط الوزارة الفهمية واستبدال عطوفة مصطفى فهمي باشا رئيس النظارة بسعادة تجران باشا ناظر الخارجية فان تجران باشا حاز المكانة العظمى عند سموه منذ كان سموهُ يطوف الوجه البحري في سياحته الليلية وادرك المنزلة العليا في ثقته لانهُ اقنعهُ ان نفوذ الاحتلال يعلو في مصر ويتعاظم حتى فاق كل نفوذ سواهُ فيخشى على المصالح الخديوية والمصالح الوطنية ان تضيع بالاستسلام الى المحتلين ومطاوعتهم على مرادهم ولذلك يجب ان يعارضوا على يد وزارة وطنية قوية تناقشهم حساب كل كبيرة وصغيرة وتوقفهم عند حدهم بقوة الاتحاد وشدة المعارضة والجري على خطة مخالفة لخطة الوزارة الفهمية . قال صديقنا رحمهُ الله وانتم تعلمون ان سمو الامير جلس على الاريكة الخديوية منذ عهد غير بعيد آتياً من مدرسة الطريزيانوم في النمسا حيث كان يلقن المعارف والعلوم مع شبان مثله احداث في السن فلم يختبر الرجال ولا عرف بعد متاعب الملك ومصاعب الحكم فاعجبتهُ اقوال الذين زينوا لهُ الاستقلال والنهي وسهلوا عليه التخلص من الاحتلال ووعدوهُ ان يتبلوهُ ما تمنى بما يبدون من العزم والحزم في معارضة المحتلين فوثق سموهُ بهم وصمم على عزل مصطفى باشا فهمي وتقليد تجران باشا منصب رئاسة النظارة في اول فرصة

وكان صديقنا يورد في غضون كلامهِ حوادث مطابقة لاخبار كنا سمعناها ويشرح اموراً كانت قد اتصلت بنا ولكن خفي علينا مغزاها فما تمَّ كلامهُ حتى ايقنا بصحة خبرهِ ونشرنا في الغد خبراً وجيزاً في المقطم ذكرنا فيهِ العزم على اسقاط الوزارة النهمية صريحاً ولمحنا الى تقليد تجران باشا رئاسة النظارة وسائر ما تقدم من الكلام تلميحاً

فما ظهر هذا الخبر حتى ذاع ذلك السرُّ المكتوم وتحدَّث بهِ القريبون والبعيدون ووردت المسائل على ادارة المقطم تترى كما هو المعتاد في كل خبر يهيج الجمهور . واتفق ان عطوفة مصطفى باشا فهمي كان حينئذٍ في طريقهِ عائداً من مصيفهِ في اوربا فلما رست بهِ الباخرة في ميناء الاسكندرية كان بين الذين ذهبوا للقائهِ جماعة يحملون اعداد المقطم الحاوية الخبر فما انتهوا من السلام عليهِ حتى سألوهُ عن صحة الخبر فأجابهم انهُ لم يسمع ذلك الاَّ منهم وان خبر المقطم ربما كان طعماً لصيد بعض الطامعين بالوزارة لا اقلُّ ولا اكثر . ثم جاء العاصمة وقال للمرحوم البارون مالورتي مدير المطبوعات حينئذٍ أرى ان المقطم قد نشر خبراً عارياً عن الصحة هاج بهِ الخواطر فيحسن تكذيبهُ . فكتب الينا البارون مالورتي كتاباً بهذا المعنى ووصل الساعي بالكتاب ونحن نهمُّ بالوكوب لبعض المقابلات . فتناولنا الكتاب ومررنا بالبارون في طريقنا فقابلنا بالعتب الشديد على نشرنا خبراً لا يضرُّ ولا يفيد قبل ان تتحقق صحتهُ وقال اننا لو سألناهُ عنهُ قبل نشرهِ لاخبرنا انهُ من الاشاعات الباطلة البعيدة عن الصحة واطال رحمهُ الله في العتاب بما دلنا على انهُ لم يكن يعلم شيئاً مما كان جارياً في تلك الايام وطلب منا تكذيب الخبر في الختام

فتبسمنا وقلنا انك توافقنا يا جناب البارون على ان الجرائد انشئت لنشر الاخبار الصادقة لا لتكذيبها ولا لاخفاء الحقائق عن قرائها حتى لا يعلموا بوقوع خلاف بين اعضاء الوزارة او بعزم الامير على اسقاط الوزارة واقامة أخرى مقامها

فقاطعنا في الكلام قائلاً اني اؤكد لكم ان الخبر غير صحيح ولولا ذلك لم اطلب تكذيبهُ

فاجبناهُ ونحن نؤكد لك ان الخبر صحيح ولولا ذلك لم ننشرهُ اذ لم نقدم على نشرهِ ونحن جاهلون عواقب نشرهِ . فقال اذاً قصدكم ان لا تكذبوهُ

قلنا هذا هو قصدنا ولو ساء عطوفة رئيس النظار ذلك منَّا لان عطوفتهُ يكون اول مستخف بنا اذا رآنا نكذب خبراً اليوم ثم نعود فنثبت صدقهُ غداً . فقال ولكن الجرائد الاخرى تكذبهُ

قلنا افعل ما بدا لك وودعناهُ وانصرفنا والظاهر ان اجوبتنا اثنتهُ عن عزمهِ ولو لم تثنها

اقوالهُ عن عزمنا فانا لما فرغنا من مقابلاتنا وعدنا الى ادارة المقطم وجدنا منهُ كتاباً ثانياً يسألنا فيهِ ان نقابل رئيس النظار . فاستقبلنا عطوفتهُ عشيَّة ذلك النهار بوجه باسر خلافاً لما اشتهر عنهُ من مقابلة زائريهِ بوجهٍ بشوش وكلمنا كلاماً يقطر العتب بل الغضب منهُ زاعماً اننا قصدنا القاء الشقاق والنفور بين الاخوان المتفقين قضاء لمآرب بعض الطامعين واننا لم نزل متعمدين ذلك لامتناعنا عن تكذيب خبر ليس فيهِ من الصحة اثر

فساءنا ذلك الجفاء ممن لم نكن نسمع منهُ الاَّ كل كلمة طيبة قبل هذه الحادثة ولم نرَ منهُ بعدها غير ما يسبي من اللطف والدعة ودماثة الاخلاق ولين الجانب على طول معرفتنا بهِ وكثرة محادثتنا لهُ . ولكننا كظمنا الغيظ واجبناهُ بالايجاز قائلين اننا لم نقصد من نشر الخبر الاَّ القيام بواجب الصحافة ولو لم نكن مقتنعين بصحتهِ لما تأخرنا عن تكذيبهِ . ومع ذلك فقد نشر الخبر وقضي الامر فما على عطوفتهِ الاَّ الصبر فان كان كاذباً كذبتهُ الايام وان كان صحيحاً قبل عطوفتهُ عذرنا والسلام . ثم امتأذنا وانصرفنا ونحن نتأسف من صناعة ان صدق صاحبها فيها سوَّد وجههُ وان لم يصدق اتعب ضميرهُ واغضب ربهُ

وبعد زمان غير طويل اخذ المستور في الظهور ووقع الجذب والدفع بين ولاة الامور على غير علم من الجمهور . ثم مرض مصطفى باشا مرضاً ثقيلاً في اواخر سنة ١٨٩٣ حتى لم يرجِّ كثيرون لهُ الشفاء فأراد الجناب العالي تعيين المرحوم تجران باشا رئيساً لنظاره وابى جناب اللورد كرومر ذلك وكان من جراء ذلك ما كان مما لا يزال محفوظاً في الاذهان . وقامت الجرائد المصرية حينئذٍ على مصطفى باشا قومةً واحدة فلم تترك ذمًّا ولا لومًا ولا هجوًا ولا هجرًا الاَّ رمتهُ بهِ وكان اقل طعن تطعن عليهِ بهِ قولها الخائن المائن العاصي مولاهُ الناكث عهود وطنهِ . وكانت جريدتا الاهرام والمؤيد حينئذٍ في طليعة الجرائد العربية الحاملة عليهِ والجرائد الاخرى تحذو حذوهما وتردِّد صدى اقوالهما ولكن خالفها المقطم وثبت في وجه الاحزاب الرافعة رايات " النهضة " وظلَّ ينادي على رؤوس الاشهاد ان سياسة مصطفى باشا والافراد الذين يعدون على الاصابع لقلتهم من المجاهرين برأيهِ هي سياسة الحكمة والرشاد النافعة للامة والبلاد واما سياسة العداوة والمقاومة فعواقبها غير نافعة ولا مأمونة بل ربما كانت وخيمة

وليس من غرضنا ايراد ما كان من الصراع والقراع في ساحات الحرب التي اشتبكت فيها اقلام الادباء والكتَّاب في هاتيك الايام وانما نقول ان ابرهيم بك الهلباوي كان من الذين جالوا جولات عظيمة فيها وصالوا وطالوا وتحاملوا وتطاولوا تحت راية " النهضة " . ومن الاقوال السائرة عند الاوربيين ان التاريخ يعيد نفسهُ . وقد صح هذا القول في صاحب المؤيد فان

من يتذكر الاقوال التي كان يطعن بها على مصطفى باشا فهمي وحزبهِ ايام " النهضة " ويقرأ الاقوال التي تطعن بها عليهِ الجرائد الاسلامية بسبب قضيتهِ مع السادات في هذه الايام يقول ان تلك الجرائد انما ترد اليهِ اقوالهُ وتكيل لهُ بالكيل الذي كان يكيل بهِ لغيرهِ. فليعتبر بذلك اصحابُ الصحف الحديثة اليوم قرب اقوال يقولونها وصحفهم قليلة التأثير وضيعة الشان يجرعون سمها الزؤام بعد ما يعظم شأنها على مر الزمان

وبعد ما سقطت الوزارة الفهمية وعقبتها الوزارة الرياضية الاخيرة في ابان الانقلاب والاضطراب وهيجان البلاد صعد عطوفة مصطفى باشا فهمي في النيل وسافر الدكتور ملتن معهُ ليمرضهُ و يعتني بهِ حتى يسترجع عافيتهُ ولما عاد الى العاصمة وصار قادراً على مقابلة الزائرين عدناهُ في جملة الزائرين القليلين فصافحنا شديداً وذكر الخبر وما جرى بيننا بسببهِ وقال اصبتم في ما نشرتم وفي ما فعلتم ولا تستغربوا شدة انكاري لخبركم فسليم النية لا يظن في الناس الاَّ سلامة النية

سياسة تجران باشا

قلنا ان المرحوم تجران باشا لم يتقلد رئاسة النظار ولكنهُ بقي مدة خدمتهِ في الحكومة قوَّة محركة وحركة فعَّالة لهُ الكلمة النافذة والمكانة السامية عند الحضرة الفخيمة الخديوية حتى كانت احزاب " النهضة " تعدهُ اليد المديرة في الوزارة الرياضة الاخيرة . وشاع يوماً ان الحكومة المصرية ساعية في انتقاص جيش الاحتلال او في ارجاعهِ عن هذه الديار وان نظارة الخارجية المصرية تفاوض نظارة الخارجية البريطانية رأساً في ذلك فزرنا المرحوم تجران باشا اول زيارة في منزلهِ وسألناهُ عن تلك الاشاعة فأجابنا بابداء الدهشة والاستغراب وافضى بنا ذلك الى حديث طويل تحققنا فيهِ بالخبر ما كنا نسمعهُ بالخبرَ عن حريتهِ في مجاهرتهِ بضميرهِ والتصريح برأيهِ وعن ذكائهِ وسرعة خاطرهِ وتسرعهِ في الامور وحدتهِ والاقدام على الاشياء قبل تقديرهِ موضع قدمهِ وعاقبة خطوتهِ . واعجبنا منهُ ما كان يبدو عليهِ من العظمة والهيبة التي يقال انهُ ورثها عن ملوك الارمن اجدادهِ من جهة ابيهِ كما ورث حرية الضمير عن اجدادهِ الانكليز من جهة امهِ

ومن جملة الاقوال التي قالها لنا حينئذٍ في الدفاع عن سياستهِ وتخطئة السياسة التي يشير بها المقطم . اني انا وابي من قبلي صرنا مصريين ومصر صارت وطننا فلا نعرف لنا وطناً غيرها. وخديويو مصر امراؤنا واولياء نعمتنا. فحسن الوفاء والولاء يوجب عليَّ خدمة وطني والانتصار لاميري ومعارضة الاجنبي الطامع بأخذ وطني والحلول محل اميري فاذا فزت في معارضتهِ

فقد نلت المرام وان اخفقت فحسبي اني فعلت الواجب عليَّ وما افلحت . واما انتم فتشدون ازر الاجنبي على الوطني وتبغون انالة المحتلين حقوق الخديويين فسياستي ممدوحة ولو اخفقت. فيها وسياستكم غير ممدوحة ولو فزتم فيها

فقلنا لهُ ليس الامر كذلك يا سعادة الباشا بل كلٌّ منا يغني على ليلاهُ ويخطئ من يتوهم منا ان غايتهُ اشرف من غاية سواهُ فكن على يقين ان ما نقصدهُ من الخير لاميرك ووطنك نقصدهُ نحن مثلك وما غيرتك عليهما باشد من غيرة غيرك ولكن الفرق بينك وبين غيرك هو في السياسة المؤدية الى ذلك فسعادتك تُنزل الى ساحة الصراع قوياً وضعيفاً اولهما الاجنبي وثانيهما الوطني ثم تطلب ان يكونا خصمين متعادين وتفرض ان مصالحهما متناقضة طبعاً مع انها متفقة في اكثر الامور اتفاقاً لايكاد يكون لهُ مثيل بين مصالح فريقين متشاركين او متحالفين . وتحرّض بعد ذلك الوطني الضعيف على مبارزة الاجنبي القوي وتغري من لاسلاح معهُ بمهاجمة الممتنع في حصنهِ المدجج بسلاحهِ ثم تقول ان فاز الضعيف فقد نلنا المرام وان قهر وذلَّ فقد فعلنا الواجب علينا والسلام . ونحن نقول ان ذلك ليس من الصواب بل حسن السياسة يوجب على الضعيف الابتعاد عن التحرش بالقوي واجتناب كل امر يؤدي الى وقوع التنافر بينهما وتوخي كل واسطة توثق عرى الاتفاق والاتحاد بينهما . والقوي ليس هنا خصماً للضعيف بل انهُ نصير لهُ يسالمهُ قولاً وفعلاً ويصون مصالحهُ ظاهراً وباطناً لان مصالح الضعيف مطابقة لمصالحهِ . فالواجب الذي لا يجوز للعقلاء ان يختلفوا فيهِ هو ان ينصحوا للضعيف دائماً بمسالمة القوي والسعي في الانتفاع بقوتهِ وعلمهِ ومساعدتهِ واتخاذهِ صديقاً لاعدوّاً والاَّ كان الضعيف معهُ كالساعي الى حتفهِ بظلفهِ ونال القوي مرادهُ منهُ رغم انفهِ

فهزَّ تجران باشا رأسهُ اشارة الى عدم الموافقة على رأينا ولسان حالهِ يقول " ان سياستكم هذه كلها كلام " . وادمنا النظر الى عينيهِ هنيهة ثم حوّلنا الطرف عنهُ ولسان حالنا يقول " وسياستكم خطاء تظهرهُ الايام " واستأذنا وانصرفنا وكان ذلك آخر حديث بيننا

ثم مضت الايام والاعوام وتجران باشا يتوارى عن عيون الجمهور ويبعد عن مراكز ادارة القطر ومحافل السياسة عاماً فعاماً حتى نسيتهُ الجرائد وسكتت عن ذكرهِ الالسنة بعد ان بقي موضوع حديث الصحف والمجالس الخصوصية والعمومية زماناً ولم يعد الجمهور يسمع عنهُ غير اخبار الذهاب والاياب في السفر او خبر ايلام وليمة او الدعوة الى وليمة وما اشبه . وقد رأى احزابهُ تتحلُّ وتضمحلُّ في غضون ذلك وسمع الزعماء والعقلاء فيها يعترفون بان سياسة مصطفى باشا فهمي كانت سياسة الصواب وان عطوفتهُ رأى بعين عقلهِ وبعد نظرهِ في الامور مالم

يروهُ هم الاَّ بعد مضي بضعة عشر عاماً في الاخبار والاطلاع على سير الاحوال . ووافتهُ منيتهُ فانتقل الى رحمة ربهِ بعد ما كتب ابرهيم بك الهلباوي قائلاً بلسانهم في جريدة المؤيد ان النفور الذي كانوا يشعرون بهِ من مصطفى باشا فهمي لانهُ اول شخص موالٍ للاحتلال قد تبدل بمحبة واحترام وان البناء الذي كانوا يسعون في تشييدهِ وتأييدهِ والاستظلال بظلهِ قائم على اساس ضعيف

ولما تأملنا هذا التغير في رأي الجمهور ونحن نتتبع ادوار تغيرهِ بسرور حانت منا التفاتة الى البحر فاذا موجة خضراء قد تعالت وتعاظمت حتى طغت على ما حولها ثم انقلبت وصدمت صخرًا امامها فتنفست عليهِ وهي ترغي وتزبد وتطاير زبدها في الجو حتى اخفى الصخر عنا ولم يبقَ غير مائها وزبدها امام اعيننا . ولكن لم يكن الاَّ كلمح القبس حتى ارتدَّ ذلك الماء الى جوف البحر وغاب في لجهِ وانحسر عن الصخر فبان الصخر ثابتاً راسخاً في موضعهِ . فقلنا ما اشبه امر هذه الموجة بما يجري في تاريخ البشر من الحوادث والعبر فترانا نجتمع ونفترق ونختلف ونتفق ونهيج ونجيش ثم نسكن ونغيب في لجج بحر الدهر ولا يبقى الاَّ الحق والصواب ثابتين كالصخر

التصعيد في الجبال

اذا وضعتَ عصاً على الخمص طفل عمرهُ بضعة ايام انقبضت اصابع قدمهِ عليها كأنهُ يحاول مسكها . وقد يسهل رفع الطفل عن الارض بانقباض اصابع قدميهِ على العصا وتعلقهِ بها . ويقول البعض ان ذلك دليل على ان اسلاف الانسان الاولين كانوا يستعملون اقدامهم في اعتراش الاشجار كما يستعملون ايديهم وكما تستعمل القرود ايديها واقدامها . وسواء صحَّ هذا القول او لم يصح فالميل الى اعتراش الاشجار والتصعيد في الجبال غريزي في الانسان يظهر في صغارهِ ويرتاح اليهِ كبارهُ ويقدم عليهِ غير مبالٍ بما قد يؤدي اليهِ من المخاطر

يخطر على بالنا الآن مافعلناهُ في سن الصبا فنستغرب اقدامنا عليهِ لولا هذا الخلق الفطري . وقفنا ذات يوم تجاه جبل صنين اعلى جبال لبنان فرأيناهُ شامخاً يناطح السحاب وكنا عند سفحهِ على مقربة من نبعهِ وقيل لنا ان الطريق الى قنتهِ بعيد طويل وانهُ قد يمكن الصعود اليها في خط مستقيم مواجهةً . فشرعنا نصعّد ولا مرشد لنا ولا دليل ولا شيء يقينا من التدهور الاَّ اغصان البربريس الشائكة نتشبث بها في بعض الاحيان . وجانب الجبل هنالك مفروش بفتات الصخور لا تثبت فيهِ قدم وتحتنا هوَّة زاد عمقها بارتفاعنا حتى صار الوقوع من الاقدام ومع ذلك

لم نبالِ بالخطر ولم تنفكَّ عن التصعيد الى ان بلغنا القنة العليا . فاسترحنا هنيهة ثم عدنا أدراجنا وكنا نجلس على فتات الصخور فتنهار بنا مئة قدم او اكثر الى ان يتجمَّع كثير منها تحت اقدامنا ويقف عن الانهيار ثم نكرر ذلك فبلغنا سفح الجبل في دقائق ولا يفعل هذا من يقدّر العواقب .

ويظهر هذا الميل على اشدهِ في الذين يصعّدون في جبال الالب وهي مغطاة بالثلج والجليد . والثلج اذا تراكم بعضهُ فوق بعض وضغط اعلاهُ على اسفلهِ وكان ذلك على سفح جبل زحل على ذلك السفح زحلاً كأنهُ نهر بطيءُ الجريان فينحر جوانب الجبل بسيرهِ كما تفجرها انهر الماء فتتخلخل الصخور منها وتتدهور عليهِ ولذلك ترى الحجارة منتشرة على جانبيهِ . واذا بلغ شرفاً او بقعةً منخفضة تشقَّق فظهرت فيهِ شقوق عميقة كالاودية كما ترى في هذا الرسم وقد رسم فيهِ نهر من انهر الجليد والحجارة منهارة على جانبيهِ والشقوق بادية فيهِ . والمصعدون في الجبال قد يمشون على هذه الانهار تتقع الصخور عليهم وتسحق رؤوسهم او يقعون في الشقوق فيدفنون في الثلج احياء ومع ذلك لا ينفكُّ الناس عن التصعيد في جبال الالب سنة بعد أُخرى

وقد وقفنا الآن على مقالتين موضوعهما التصعيد في جبال الالب للسيدة اوبري له بُلِّد شرحت فيهما بعض ما يلاقيهِ المصعدون من المشاق وهي من اخبر الناس في هذا الموضوع

ومن اكثرهم تصعيداً في الجبال فاقتطفنا منهما مايلي

قالت الكاتبة ان التصعيد في الجبال احب الملاهي لانهُ اشدها خطراً فهو كصيد الاسود وركب السوابق لذتهُ في مخاطرهِ

ويظهر مما يحدث سنوياً للمصعدين في جبال الالب ان التصعيد فيها لايخلو من الخطر ولكن الذين يؤخذون فيهِ اما انهم اغفلوا الحذر الواجب او لم يسترشدوا بالادلة الاكفاء ومع ذلك اذا نفذ القدر بطل الحذر

حدث منذ عهد قريب ان شاباً انكليزياً صعد في جبال الالب الى اعلى مكان امكنهُ الوصول اليهِ وعاد راجعاً وكان معهُ دليلان ماهران احدهما امامهُ والآخر وراءهُ فوقع صخر كبير على رأس الدليل المتقدم فقتلهُ حالاً ودفعهُ الى هوَّة عميقة وكان الثلاثة ممسكين بحبل واحد فوقع الشاب والدليل الثاني فوق الدليل الاول نحو تلك الهوة ورأى الدليل الثاني شقاً كبيراً في الجليد قبل الوصول الى حافة الهوة وعلم انهُ ان استطاع ان يعلق بهِ فقد ينجو هو والشاب من الوقوع في الهوَّة وكانت السقطة قد رضَّت مفاصلهُ ولكنها لم تذهب برشدهِ فتمكن من النزول في الشق هو ورفيقهُ المقتول والشاب الذي معهما ونهض للحال وانهض الشاب واخرج الرمل من فيهِ وصعد بهِ من الشق قبل ان يقع عليهما حجر يصرعهما لان الحجارة كانت تنهال من جانب الجبل تباعاً بسبب اشتداد الحر حينئذٍ وذوبان الجليد المسك لها . وكان صعودهُ من الشق على تلك الصورة وليس معهُ شيء يتعلق بهِ من الخوارق حتى ولو لم يكن جسمهُ مترضضاً . وظلاَّ يصعدان تسلقاً وتشبثاً الى ان بلغا مكاناً امينا . وبقيا اسابيع كثيرة قبل ان شفيا من سقطتهما . وأُخرجت جثة رفيقهما من الشق في اليوم التالي بعد عناء شديد

هذا الشق نجى اثنين من الهلاك والشقوق في الغالب مهالك يهلك فيها المصعدون في الجبال كما حدث منذ عامين فان رجلين فرنسويين ودليليهما سلكوا الطريق في ليلة شديدة العواصف وكانوا في ابرد بقعة من جبال الالب فباتوا يمشون ذهاباً وايابا لكي لا يهرأهم البرد لانهُ هرأ الفرنسويين وبقي الدليلان حيين الى الصباح فنزلا عن الجبل وقد مزقت العواصف ثيابهما وجمد الدم والثلج على وجهيهما ولقيا في نزولها جماعة من المصعدين فاخبراها عن موت رفيقيهما برداً في أعلى الجبل فاضاعت الجماعة رشدها واسرعت نحو ذينك المنكودي الحظ لعلها تجد فيهما رمقاً وكان الواجب عليها ان تترك الميت وتهتم بالحي فظلَّ الدليلان نازلين على ما بهما من الضعف . وبعد ساعة من الزمان كان في الوادي رجل بيدهِ نظارة ينظر فيها

الى الجبل فرأى رجلاً وقع في شق من شقوق الجليد وهو احد الدليلين وللحال قام جماعة من اهل النخوة وصعدوا لتخليصهِ فوجدوا ان رفيقهُ وقع معهُ ايضاً واحدهما قتل والآخر لا يزال حيًّا فانقذوهُ بعد عناء شديد . والجماعة الاولى وجدت جثتي الفرنسويين على عشرين مترًا فقط من الطريق المطروق ولم تجد فيهما رمقًا فاضافت جبال الالب ثلاثة في ذلك اليوم الى عدد قتلاها . والغالب ان الذين يهرأم البرد او يقعون في المهالك توجد جثثهم حالاً ولكن قد لا توجد ابدًا وقد توجد بعد زمن طويل . مثال ذلك ان رجلاً انكليزيًّا اسمهُ هنري ازكريت صعد الجبل الابيض (منت بلانك) ومعهُ دليل وحاملان لحمل امتعتهِ وصعد معهُ صاحب الفندق ورفيق لهُ واختاروا طريقًا مختصرًا لان الوقت كان في اكتوبر والنهار قصير الاَّ ان ذلك الطريق كان كثير المخاطر يتجنبهُ المصعدون غالبًا . فلما وصلوا الى مكان يكثر سقوط دحاريج الثلج فيهِ سقط عليهم دحروج كبير جدًّا فجرف اركريت ورفاقهُ الثلاثة واما صاحب الفندق ورفيقهُ فتمكنا بعصويهما ولم يجرفا ولكن انقطع الحبل الواصل بينهما . ولما تنقى الهواء من قطع الثلج النازلة مع الدحروج نظرا حواليهما فلم يجدا اثرًا لاركريت ودليلهِ والحاملين اللذين معهُ ولكنهما رأيا الدحروج الذي جرفهما قد انبسط في مكان مطمئن تحتهما فنزلا اليهِ وبقيا ساعتين ينتشان فيهِ فوجدا جثة احد الحاملين فقط واضطرا ان يعودا الى الفندق فوجدا اخت اركريت هناك جالسة تصوّر وقد صعدت مع اخيها في اليوم السابق ونزلا سالمين . فدخل صاحب الفندق ليخبرها بما حدث لكن أُرتج عليهِ ولم يستطع الكلام فنظرت اليهِ وقالت اخي اخي ماذا جرى لهُ فقال لها تشجعي . فجثت على ركبتيها وطلبت المعونة من الله ثم قالت هات اخبرني بما توقع فاخبرها . واخذ المفتشون يفتشون عن جثث القتلى وظلوا عشرة ايام فلم يجدوا جثة اركريت واشتدت الانواء والعواصف فمنعتهم عن التفتيش . وبعد احدى وثلاثين سنة وجدت جثة هذا الرجل في منخ الجبل صاربها نهر الجليد رويدًا رويدًا الى ان بلغت الى هناك وعرفت مما وجد معها من امتعتهِ كازرار قميصهِ ونقود كانت في جيبهِ وقلم رصاص من الذهب ووجد منديلهُ ايضاً وعليهِ حروف مقتطعة من اسمهِ والفرقة التي هو منها لانهُ كان يوزباشيًّا في الجيش الانكليزي

ويحمل الذين يصعدون في جبال الثلج معولاً يحفرون بهِ حفرًا في الثلج تقف اقدامهم فيها لان سطح الثلج يكون في الغالب صقيلاً تزلق الاقدام عليهِ ولاسيما اذا كان مائلاً . وقد يزلق الدليل ويقع المعول من يدهِ فيتدهور ويدهور تابعيهِ معهُ . وكثيرًا ما يقف على جرف من الثلج فينهار الجرف او ينكسر بهِ . فان الثلج قد يتصلّب في بعض الاماكن وينهار

ما تحتهُ رويدًا رويدًا فيبقى بارزًا من جانب الجبل كالافريز يقف المصعدون عليهِ ولا يحسبون انهُ بارز في الهواء لا شيءٌ تحتهُ يسندهُ . حدث منذ بضع سنوات ان سائحًا كان يصعّد في جبال الالب هو وامرأة اخيهِ ودليلان اسم احدهما هنسن واسم الآخر خرستيان والاربعة مرتبطون بحبل واحد . واتفق ان الرجل وامرأة اخيهِ والدليل خرستيان تقدموا ووقفوا على افريز من افاريز الثلج فسقط تحت اقدامهم ووقعوا على سطح صقيل من الثلج مائل جدًّا لا تثبت القدم عليهِ وكان لا بدَّ من تدهورهم كلهم الى اسفل الوادي الذي تحتهم وعمقهُ لا يقلُّ عن الفي قدم الاَّ ان الدليل الثاني الذي كان واقفًا وراءهم وثب حالاً الى الجانب الآخر من حرف الثلج فصار قادرًا على حفظهم من الوقوع في الوادي اذا كان الحبل الذي ارتبطوا بهِ متينًا يحمل الثلاثة ولا يقطعهُ حرف الثلج وسقط المعول من يد الدليل الاول وقتما وقع الافريز بهِ لكن معول السائح بقي في يدهِ فلم يبقَ سبيل لنجاتهم الاَّ ان يرمي بهِ الى الدليل فيلتقطهُ ويحفر بهِ حفرًا في الثلج تقف بها اقدامهم والاَّ فلا بدَّ من سقوطهم في الهاوية التي تحتهم حالما ينقطع الحبل بهم . وفعل الرجل ذلك فرمى بمعولهِ الى الدليل الاول فتلقَّاهُ هذا وجعل يحفر بهِ حفرًا صغيرة في الثلج تثبت فيها الاقدام فصعد الثلاثة عليها ونجوا

وكثيرًا ما يصاب المصعدون بدوار مثل دوار البحر فيسقطون عن الشواهق . حدث سنة ١٨٩٨ ان رجلاً اسمهُ نارودا مشهورًا بتصعيد الجبال صعَّد مع زوجتهِ وصديق لهُ في قنة صعبة جدًّا وكان قد بلغها ست نوبات قبل ذلك اما في هذه النوبة فكان متحرف الصحة فلم يكد يبلغ اعلاها حتى صرخ اني وقعت . ووقع على ظهرهِ وتدهور مئة قدم وكان رفيقهُ واقفًا تحتهُ فامسك بالحبل جيدًا فشدَّ الحبل على ذراعهِ وقطع اصابعهُ واطلَّ الرجل وزوجة نارودا عليهِ فوجداهُ معلقًا بالحبل يد واحدة وتحتهُ هوَّة عميقة جدًّا . وبعد عناء شديد وصلا اليهِ ووضعاهُ على سطح مستوٍ من الجليد وكان لا يزال في دوارهِ ولم يكن معهم طعام ولا شراب . وكانت الساعة الثانية بعد الظهر فجعل رفيقهُ وزوجتهُ يصرخان ويناديان وظلاَّ ثلاث ساعات الى ان سمع البعض صوتهما واقبلوا لمساعدتهما ولم يتمكنوا من انزالهِ عن الجبل الاَّ في الصباح التالي وبات الليل كلهُ يهذي ولما بلغوا بهِ سفح الجبل اسلم الروح

وفي الصيف الماضي صعَّد ثلاثة الى هذه القنة ولم يشأ دليل من الادلة ان يصعد معهم لصعوبة البلوغ اليها لكنهم بلغوها سالمين وبينما هم آخذون في النزول فاجأتهم زوبعة من الثلج اضطرتهم ان يبيتوا هناك . وحاولوا النزول في اليوم التالي فلم يستطيعوا لكثرة الثلج فباتوا هناك ايضًا ولا غطاء معهم ولا شيء يقيهم ذلك البرد القارس ووجدهم البعض حينئذٍ وانقذوهم سالمين

وذكرت الكاتبة نوادر أخرى من هذا القبيل وقالت في الختام ان التصعيد في جبال الثلج لا يكون محفوفاً بالمخاطر دائماً بل قد يكون كلهُ بهجةً وحبوراً ولذلك يتعشقهُ الناس ولا ينفكون عنهُ

باب الزراعة

محصول القطن ومستقبلهُ

ان غلة القطن من الولايات المتحدة والهند ومصر تبلغ نحو سبعين مليون قنطار فيكون القطن المصري اقل من عشرها . والقطن الاميركاني وحدهُ نحو ٥٥ مليون قنطار والقطن الهندي نحو عشرة ملايين قنطار والقطن المصري من ستة الى سبعة ملايين قنطار

ويرد الى البلاد الانكليزية كل سنة من ١٨ الى ٢٠ مليون قنطار وقد كان الوارد في العام الماضي نحو ١٨ مليون قنطار فقط وهي ١٣ مليون ونصف من القطن الاميركاني ونحو ثلاثة ملايين من القطن المصري ونحو مليون من القطن الهندي ونصف مليون من سائر الاقطان . وكان الوارد سنة ١٨٩٨ نحو ٢١ مليون قنطار ثمانية عشر منها من القطن الاميركاني ونحو مليونين وثلاثة ارباع من القطن المصري ونحو ربع مليون من القطن الهندي

فاذا تمكّن الاميركيون من العمل بما ينوون العمل بهِ وهو ان يكثروا معامل القطن في بلادهم حتى ينزلوا وينسجوا كل قطنهم فالقطن المصري كلهُ وضعفاهُ لا تفي بحاجة المعامل الانكليزية . واذا استطاعت المعامل الانكليزية ان تشتغل دواماً كما اشتغلت سنة ١٨٩٨ مثلاً وتجد اسواقاً لمنسوجاتها ومغزولاتها كلها لم تكتفِ باقل من عشرين مليون قنطار اي باكثر من ثلاثة اضعاف محصول القطر المصري

اما ازدياد معامل القطن في اميركا حتى تصير تغزل وتنسج كل القطن الاميركاني فامر قريب الوقوع لان هذه المعامل زادت ثمانية اضعاف منذ عشرين سنة الى الآن ولا يمنعها من الازدياد بسرعة ايضاً الاّ كون الاسواق التجارية لم تفتح كلها حتى الآن للبضائع الاميركانية كما هي مفتوحة لغيرها او كون التجار الاميركيين لم يصلوا اليها حتى الآن او لم يروّجوا بضائعهم فيها ولكنهم سيفعلون ذلك بعد زمن غير طويل . ولذلك يهتم الانكليز الآن اشد الاهتمام

باكتشاف الاماكن التي يسهل زرع القطن فيها لكي يستغنوا بها عن القطن الاميركاني . وقد قال الاستاذ وندهام بنستن في تقرير رفعهُ حديثاً الى مجلس التجارة في البلاد الانكليزية ونشر في الكتاب الازرق انهُ يُرجح ان تزيد زراعة القطن في الهند ولا سيما في برما اذا بقي سعرهُ مرتفعاً كما هو الان ولكن اكثر القطن الذي ينبت في الهند الآن قصير الشعر لا يصلح للعامل الانكليزية وانهُ لا يُحتمل ان تتسع زراعة القطن كثيرًا في القطر المصري لان الاراضي الصالحة لهُ قد زرعت كلها تقريباً . وفي هذا القول الاخير نظر لانهُ لا يزال في الوجه البحري نحو نصف مليون فدان من الاراضي التي تصلح لزرع القطن . والاراضي التي يزرع القطن في ثلثها فقط الآن يمكن ان يزرع في نصفها اذا توفرت المياه واعتمد الزراعون على السماد الكيماوي حيث لا يوجد السباخ البلدي فيصير محصول القطن في الوجه البحري فقط سبعة ملايين او ثمانية ملايين قنطار . وبتى تتمّ الاعمال اللازمة للري الصيفي في الوجه القبلي ايضاً فلا يبعد ان يصير محصول القطن المصري عشرة ملايين قنطار او نحو نصف ما يلزم للعامل الانكليزية هذا اذا لم يرسل القطن المصري الى سائر معامل اوربا . لكن لا شبهة في ان معامل اوربا واميركا تأخذ نصفهُ على الاقل كل سنة فلا يبقى للعامل الانكليزية غير خمسة ملايين قنطار او نحو ربع ما يلزم لها . وعليهِ فيبقى القطن المصري رابحاً جدًّا ولو زاد محصولهُ على عشرة ملايين قنطار

وقد عدد الاستاذ بنستن الاماكن التي جُرّب فيها زرع القطن المصري والقطن الاميركاني في افريقية وجزائر الهند الغربية وجزائر بحر الروم وبلاد الهند ويظهر لنا مما ذكرهُ عنها كلها انهُ مهما بُذل من العناية لزرع القطن فيها لا يُنتظر ان يبلغ محصولهُ نصف محصول القطن المصري

فجزيرة قبرص مثلاً كان يصدر منها ١٨ الف قنطار في السنة وقت حرب اميركا ولا يصدر منها الآن سوى ثلاثة الاف قنطار فان كانت حرب اميركا لم تزد المحصول الا الى ١٨ الف قنطار فلا ينتظر ان يبلغ عشرة الآف قنطار الآن مهما كانت الوسائل وهو محصول ابعدية واحدة في القطر المصري

وجزيرة مالطة زرع فيها ٦٩٩ فداناً سنة ١٩٠٢ بلغ محصولها ٣٣٤٢ قنطاراً ولكن لا يعلم ما هو نوعهُ ولا ما هي مساحة الاراضي التي يمكن زرع القطن فيها . ثم ان الاراضي التي تصلح لزرع القطن في جزائر بحر الروم وفيها ماء كاف لريهِ وقت انحباس المطر تصلح ايضاً لزرع التبغ مثلاً وغلة فدان التبغ تساوي عشرة اضعاف غلة فدان القطن

السودان — يقال ان الاراضي الصالحة لزرع القطن في السودان واسعة جدًّا ولكن

ما الفائدة من اتساع الاراضي وفدان القطن يحتاج الى رجل واحد على الاقل للقيام بخدمته من حرث وزرع وخفر وعزق وري وجمع او الى خمسة انفس من السكان . ففي القطر المصري يزرع القطن في نحو مليون ونثمثة الف فدان وعدد السكان الذين يقومون بزراعتها كبارًا وصغارًا لا يقل عن ستة ملايين نفس . وعدد السكان في بلاد السودان حيث توجد الاراضي الصالحة لزرع القطن لا يزيد على مليون نفس فاذا عملوا كلهم في زرع القطن على نسبة ما يعمل السكان في الوجه البحري من القطر المصري لم يستطيعوا ان يزرعوا اكثر من مئتي الف فدان . وفي مديرية البحيرة وحدها من القطر المصري اكثر من مئتي الف فدان تصلح لزرع القطن اذا باعتها الحكومة للاهالي وانتها بالماء الكافي . ولا ندري كيف يهتم ولاة الامور بزرع القطن في السودان وعندهم مئات الالوف من الافدنة في القطر المصري وعلى ساعات قليلة من الاسكندرية الى حيث ينقل القطن ولا يكلف نقلهُ ربع ما يكلفهُ نقلهُ لاصداره من السودان الى البحر . نعم انهُ يجب ان يرغب اهالي السودان في زراعة يستفيدون منها ولكن يجب ايضًا ان لا يبالغ في فائدة شيء اذا كانت المبالغة تصرف الناس عما لهم منهُ نفع كبير الى ما منهُ نفع قليل او غير محقق

الهند — بلغت مساحة الارض التي زرعت قطنًا في العام الماضي في بلاد الهند نحو ١٧ مليون ونصف مليون ويبلغ حاصل القطن منها نحو احد عشر مليون قنطار اي ان متوسط حاصل الفدان نحو ستين رطلاً من القطن الهندي الرخيص الثمن ولا ندري كيف يعيش الهنود الذين يزرعون هذا القطن او كيف يمكن ان تزاد زراعتهُ حيث لا تزيد غلة الفدان على ستين رطلاً . وما قيل عن الهند يقال عن اكثر البلدان التي يزرع فيها القطن الآن على قلة فان اتساع زراعتهِ فيها امر بعيد لقلة حاصلهِ وكثرة النفقات اللازمة لزرعهِ وعزقهِ وجمعهِ

قطن السودان

نرى لحكومة السودان اهتمامًا شديدًا بزرع القطن وهي تحسن صنعًا لان البلاد لا تعمر ولا تفلح ما لم يحصل منها شيء يمكنها اصداره واخذ ثمنهِ نقودًا والقطن من اسهل الحاصلات الزراعية اصدارًا وهو من اغلاها ثمنًا فلا يذهب اكثر ثمنهِ اجرة لشحنهِ كما لو كان رخيصًا كالقمح والذرة . واذا استطاع مليون نفس من اهالي السودان ان يشتغلوا بزراعة القطن ويزرعوا مئتي الف فدان قطنًا ويبلغ محصولها مليون قنطار وبيع القنطار في ارضهِ بمئة وخمسين غرشًا يبلغ دخل السودان من هذا الصنف مليونًا ونصفًا من الجنيهات

وقد وقفنا الآن على ما كتبهُ مدير التجارب الزراعية في شندي عن زراعة القطن هناك

ومفادهُ انهُ زرع القطن المصري هناك ورواهُ اخر رية في شهر فبراير الماضي فبلغ محصول الفدان المزروع من القطن العباسي ١٢٠٠ رطل والمزروع من القطن العنيفي نحو ٨٠٠ رطل والمزروع من النيوفتش ٧٠٠ رطل اي نحو ثلاثة قناطير وثلاثة ارباع القنطار من الاول وقنطارين ونصف من الثاني ونحو قنطارين وربع من الثالث (القنطار ٣١٥ رطلاً)

ولم تنتج نتائج حسنة من زرع القطن في الشتاء لان نموهُ توقف تماماً في شهري دسمبر ويناير . والقطن الذي زُرع في اكتوبر لم يظهر الطرح فيهِ حتى شهر ابريل ولكن نموهُ جيد وينتظر ان يبلغ محصول الفدان منهُ اربعة قناطير اذا امكن ريهُ مدة شهرين آخرين او ثلاثة . واذا قابلنا ما يزرع في الصيف بما يزرع في الشتاء وجدنا المزية لما يزرع في الصيف في شهر يوليو

ويزرع القطن في ابي حراز في الطمي المتخلف من فيضان البحر الابيض ولا يروى بعد ذلك ومحصولهُ قليل جدًّا ولكن نوعهُ ليس ادنى من انواع القطن السوداني

ويزرع القطن في طوكر في الارض التي يرويها خور بركة ويبلغ حاصل الفدان نحو ٦٠٠ رطل من القطن غير المحلوج تباع بنحو ٣٤٠ غرشاً

ويزرع القطن في مديرية بربر في السنين التي يكون فيها النيضان عالياً . وقطن السودان يحتمل القيظ الشديد ولا يعلم هل يحتمل القطن المصري القيظ مثلهُ لو زرع هناك . والعادة ان يزرع القطن مع الذرة الشامية والذرة تظلل نبات القطن وتقيهِ ومتى بلغت ونزعت يروى القطن ويترك فلا يحتاج القيظ والمظنون انهُ يمكن ايجاد نوع متوسط بين القطن المصري والقطن السوداني بالتلقيح فتجود شعرتهُ ويبقى يحتمل القيظ كالقطن السوداني والطريقة الفضلى لزرع القطن في السودان ان يزرع في شهر يونيو او يوليو في حوَش تصل اليها المياه من الترع فيروى من الترع الى شهر اكتوبر . ثم يروى قليلاً في فصل الشتاء . وينتظر ان يبلغ محصول الفدان حينئذٍ اربعة قناطير الى خمسة . والارض التي تزرع قطناً هذه السنة تترك سنتين تروى فيهما ري الحياض فقط وتزرع قمحاً وقطاني

وكتب بعضهم عن زرع القطن على نهر رهد بين القضارف والقلابات فقال انهُ رأى القطن مزروعاً في ٧٦٢ فداناً في القلابات وان ثمن قنطار القطن غير المحلوج هناك ٣٤ غرشاً ويشتريهِ الاحباش ولكنهم لا يشترون ما فيهِ اقل صفرة فيكون ثمن القنطار المصري (٣١٥ رطلاً) نحو مئة غرش

وكيف التفتنا الى تقارير الذين جالوا في بلاد السودان نجد انهم متفقون على ان الارض تصلح لزرع القطن ولكن قلة الناس مانعة من ذلك . اما السكان فسيزيد عددهم مع الزمان

واما الارض فكونها صالحة للزراعة لا يفيد ان القطن يجود فيها ويكون نوعهُ جيداً لان جودة القطن تتوقف على امور كثيرة غير جودة الارض . ثم ان غلاء اجرة النقل سيبقى مانعاً كبيراً في سبيل زرع القطن في تلك الانحاء

موسم اميركا

بلغ موسم القطن الاميركي الذي انتهى في الشهر الماضي عشرة ملايين ونحو ١١ الف بالة فهو اصغر موسم منذ سنة ١٩٠٠ . وقد اخذت معامل اميركا ٤٠ في المئة منهُ ومعامل انكلترا ٣٦ في المئة ومعامل فرنسا ٧ في المئة وسائر اوربا ٢٧ في المئة . وقد كانت معامل اميركا تستعمل مليونين و٥٠٠ الف بالة فقط منذ عشر سنوات فصارت تستعمل الآن اربعة ملايين بالة او اكثر . ويقال ان المقطوعية من القطن تزيد زيادة طبيعية بزيادة السكان تبلغ نحو مليوني قنطار كل سنة فاذا استمرت الحال على هذا المنوال عشر سنوات أخرى احتاج الناس الى عشرين مليون قنطار فوق ما يستعملونهُ الآن فتصير المقطوعية كلها ونحو ٩٠ مليون قنطار وهي الآن نحو ٧٠ مليون قنطار

قطن فلسطين

كتب قنصل الانكليز في القدس ان الناس ابطلوا زراعة القطن بعد انتهاء الحرب الاميركية مع انهُ كان يزرع قبل ذلك في كل بلاد الساحل من غزة الى صور في ارض طولها مئة ميل وعرضها من خمسة اميال الى عشرين ميلاً وعندهُ انهُ يمكن اقناع الاهالي بالعود الى زرعهِ وقد بلغ الصادر من فلسطين قبل الحرب الاميركية عشرين الف بالة في السنة وهو ابيض قصير الشعر ادنى من القطن المصري . انتهى

وقد رأينا القطن المزروع في اكثر بلاد الساحل حتى بلاد صافيتا وهو صغير اللوز قليل الحمل يعيش بعلاً ويبعد عن الظن ان يكثر الناس من زرعهِ الاَّ اذا ارتفع سعر القطن كثيراً كما ارتفع وقت الحرب الاميركية

فائدة في زراعة القصب

ثبت للدكتور كوبوس بعد التجارب في زراعة القصب ما يأتي

اولاً ان مقدار السكر في قصب السكر يختلف كثيراً وهو على اكثرهِ في الصيدان الغليظة التي مرَّ عليها سنون كثيرة وهي تغرس غرساً

ثانياً ان مقدار السكر يزيد ايضاً بازدياد وزن القصب

ثالثاً اذا اخترت العقل من القصب الثقيل الكثير السكر كانت العيدان النابتة منها كثيرة السكر ايضاً

رابعاً ان القصب المنتقى كذلك يسلم اكثر من غيره من المرض المعروف بمرض السره

التوت ودود الحرير

رفع حضرة الوجيه الخواجه خطار ثابت الى جناب المستر متشل انس وكيل المالية التقرير التالي عن زراعة التوت وتربية دود الحرير في ارض بسنديله بعد ما جرب ذلك نحو ثماني سنوات

" استلمت الارض في بدء سنة ١٨٩٧ وكان منها قسم كبير مستملحاً ولما كان شجر التوت لا يعيش في الارض السبخة رأيت من الواجب قبل كل شيء ان اهتم بتحليتها فاعددتها لزراعة الارز ولكن المزارعين الذين اتخذتهم لهذه الغاية لم يتمكنوا من القيام بخدمتها اذ ليس للارض الا ساقيتان لا يمكن ان تقوما بريها كلها فاقتصروا على زراعة الارز في قسم منها وهو القسم الذي غرس شجراً في السنة التالية سنة ٩٨ وكان هذا القسم جيد التربة من الاصل واما الارض السبخة فلم ينلها نصيب من زراعة الارز في تلك السنة وقد صادفت في مزاولة تحليتها صعوبات شديدة في السنين التالية لان المياه الصيفية التي لا تحلو التربة الا بها كانت قليلة جداً في تلك السنوات فكان من ذلك اننا لم نتمكن من زراعة الارز في الارض السبخة ولا من ري الارض المغروسة ريًّا منتظماً فنشأ عن هذه الحالة القاهرة ان الوفا من الشجر المغروس حديثاً مات عطشاً وقد تحققت الحكومة من ذلك فاضافت سنتين على ميعاد التجربة المقرر في العقد الاصلي حتى اصبحت سنوه اثنتي عشرة بدلاً من عشر واخيراً تم الغرس في الميعاد المتفق عليه

اما نمو الشجر فهو جيد جداً في الارض التي كانت تربتها حلوة من الاصل وهو كذلك جيد في الارض التي توفقنا الى تحليتها تماماً ولكنهُ لا يزال في الارض قسم تتخللهُ عروق سبخة مما يجعل شجرهُ بطيء النمو ونحن باذلون كل الاهتمام في سبيل تحليته حتى يساوي باقي الارض والمأمول ان تصل الى هذه الغاية في وقت قريب بما نبذلهُ من الجهد والعناية . على ان نجاح شجر التوت في القطر المصري امر ثابت بالعيان لا يحتاج الى برهان لان التوت موجود في كل الجهات وهو بالغ فيها من النمو مبلغاً يقصر عنهُ كل التوت في كل جهات اوربا وسوريا . فالامر الذي يهم الكلام فيهِ بالنظر الى مسألة نجاح المشروع هو امر تربية الحرير وها نحن آتون على بيان نتيجة عملنا فيهِ

في ربيع سنة ١٩٠١ ربينا ثلاثين جراماً من بزر دود الحرير تجربة جديدة بعد التجارب المكرّرة التي كنا اجريناها في سنوات مختلفة قبل الاتفاق الذي عقدتهُ معنا الحكومة فكانت التربية داخل قاعة من قاعات السكن لا في خصّ (الخص عشة من بوص وحصير) فكان محصولها خمساً وثلاثين اقة من شرانق الحرير وهو محصول متوسط بالنسبة الى محصول اوربا وسوريا وبموجبهِ يكون محصول الفدان الذي استوفى شجرهُ حقهُ من النمو ٢٣٣ اقة (على اعتبار ان وزن ورقهِ ٦١٦٠ كيلو كناية عن ٨٠ حملاً) ومتوسط ثمن الاقة ١٧ غرشاً فتكون قيمة محصول الفدان ٣٩٦١ غرشاً يستنزل ربعهُ في المصاريف فيكون الصافي ٢٩٧٠ غرشاً

وفي سنة ١٩٠٢ كان التوت المغروس في سنة ٩٨ وسنة ٩٩ قد نما نموًّا يأذن بتربية الدود للاستغلال لا للتجربة فقط فربينا خمساً واربعين علبة بزر تحوي العلبة منها خمسة وعشرين جراماً فكان محصولها ٨٧٤ اقة من الشرانق بيع قسم منها في مصر وقسم آخر في الزقازيق والباقي نسجناهُ اقمشة لحساننا الخاص . ثم في سنة ١٩٠٣ ربينا ٦٠ علبة فكان محصولها ١٢٥٦ اقة ومحصول هاتين السنتين كان اقل من محصول سنة التجربة باعتبار نسبتهِ الى كمية البزر واهم سبب في ذلك النقص هو ان الانفار الذين استحضرناهم من برّ الشام لتربية الدود لم يكن عددهم كافياً لتربية تلك الكمية الكبيرة والمصريون الذين يعملون تحت مناظرتهم ومناظرتنا كانوا على جهل تام بامر دود الحرير وتربيتهِ فكان سوء الخدمة مؤثراً على نتيجة المحصول ومع ذلك فتلك النتيجة تجعل محصول الفدان البالغ نموتهُ النمو الكامل على متوسط محصول السنتين ٣٤٥١ غرشاً صاغاً يستنزل ربعها في مقابل المصاريف فيكون صافي ربعهِ ٢٣٨٩ غرشاً صاغاً

واما في السنة الحالية فاننا قد ربينا خمسة وسبعين علبة اي الفاً وثمانمائة وخمسة وسبعين جراماً من البذر فكان محصولها ٢٠٦٤ اقة وهو محصول جيد جداً والسبب في زيادة نجاحهِ عن السنتين السابقتين هو ان الانفار المصريين الذين كانوا يخدمون الدود كانوا قد اكتسبوا شيئاً من الخبرة في خدمتهم للدود في الموسمين السابقين فجاء عملهم في هذه السنة اوفى واقرب الى المرغوب . وقد بعنا محصول هذا الموسم بسعر ١٧ غرشاً الاقة فكان مجموع ثمنهِ ٣٥٠٨٨ غرشاً

ونكتة للفائدة يجب عليّ ان اضيف الى هذه البينات ان ورق التوت الذي استخدم في تربية هذا الموسم الاخير انما هو الناتج من محصول اربعين فداناً فقط وهي التي مرّ على غرس شجرها اربع سنوات فاكثر واما باقي الشجر فانهُ بالنظر الى حداثة عهدهِ ينتج حتى الآن كمية قليلة من الورق ليس لها شأن يذكر والاربعون فداناً المشار اليها لا تزال الآن في مقتبل صباها وسيزيد محصولها من الورق مع زيادة نموها سنة فسنة الى ان يبلغ اربعة اضعاف ما هو

عليهِ الآن او اكثر

هذا ويسرني ان اخبر سعادتكم بان كثيرين من الاهالي قد رغبوا في زرع شجر التوت في اراضيهم بعد ان رأوا باعينهم سير المشروع فكان مجموع ما بعتهُ من الاشجار حتى الآن ٣١٣٦٤ ولو امكنني تلبية كل الطلبات لزاد عدد المبيع عن ذلك كثيرًا ولكن الفسائل التي كنت احضرها في كل سنة كان يموت قسم كبير من شجرها عطشًا في زمن المناوبات وكنت احتاج سنويًّا الى بضعة آلاف من الاشجار فالباقي لم يكن يكفي لاجابة كل الطلبات وعندي من الآن طلبات للسنة القادمة ما يزيد على عشرة آلاف شجرة . نعم ان معظم التوت الذي بعتهُ انما اشتراهُ الاهالي لاجل غرسهِ على اطراف اراضيهم ومجاري المياه والطرقات وجوانب المساكن والمساقي الاَّ انهُ في الحقيقة لايرجى منهم الآن اكثر من ذلك لانهم لا يزالون جاهلين كيفية تربية الدود ونتائجهِ الحقيقية فلا يطلب منهم التوسع في زراعتهِ الى حد ان يشغلوا بهِ اراضيهم التي يستغلون منها القطن ولكن اذا كبر الشجر الذي غرسوهُ في حواشي تلك الاراضي وجربوا تربية الدود عليهِ اما بواسطة عملة من السوريين المقيمين بين ظهرانيهم او بواسطة بعض الفلاحين المصريين الذين يكونون قد تعلموا هذه التربية فانهم عند ما يرون ارباحهُ يتدرجون شيئًا فشيئًا الى غرسهِ في اراضٍ يخصصونها لهُ على النمط الذي يشاهدونهُ عندنا في الاراضي المخصصة للمشروع . واني اعتقد ان ارتفاع اسعار القطن في هذه السنوات الاخيرة كان سببًا لحصر كل اهتمام ارباب الزراعة في زراعة القطن نفسهِ وهم الآن معذورون في ذلك اذ ليس من الحكمة وحسن التدبير ان يعدل المصري اليوم عن زراعة القطن التي تضاعفت ارباحها الى زراعة لم يختبرها ويعطل ريع ارضهِ ثلاث سنوات قبل ان ينال من محصول الزراعة الجديدة شيئًا يستحق الذكر ولكن اذا رجعت اسعار القطن يومًا الى حالتها القديمة (ونسأل الله ان لا ترجع) فحينئذٍ ينتظر انتشار زراعة التوت في القطر المصري الانتشار الذي يجعل وادي النيل مصدرًا من مصادر الحرير المهمة في العالم

على انهُ بالرغم عن ارتفاع اسعار المحصولات المصرية في الاوقات الحاضرة فانهُ لايزال في ارض مصر متسع لزراعة شجر التوت وتربية دود الحرير وذلك في الاراضي الرملية التي لا تصلح للقطن ولا تنجح فيها الحبوب لان شجر التوت يعيش فيها وينمو نموًّا يكفل الحصول على ايراد يعادل في كل سنة قيمة ثمن الأرض نفسها ولذلك اقول انهُ وان دامت الاسعار الحالية على ما هي عليهِ بل لو زادت ارتفاعًا فان زراعة التوت لاجل تربية دود الحرير ستنتشر متى تحقق الاهلون فوائدها وعلموا بحقيقة ارباحها وهذا لا يتأتى الاَّ متى كثر عدد الفلاحين الذين

يزاولون تربية الدود لان استغلال الحرير من شجر التوت اقرب في الحقيقة الى الصناعة منهُ الى الزراعة والفلاح في الوقت الحاضر لا يشتغل بالطبع في تربية الدود الاَّ لحساب غيرهِ كما هي الحالة عندنا في بسنديلة فاذا تعلم امكن ان ينقل هذه الصناعة الى حيث ينتقل. وقد اتفق لنا اننا في سنة ١٩٠٢ استغنينا عن جانب من الدود الذي كنا نربيهِ بسبب قلة الورق فطرحناهُ في جهة من الغيط فالتقطتهُ امرأة كانت اشتغلت عندنا في خدمة الدود في السنة السابقة وربتهُ على توت موجود في بلدتها المجاورة لعزبتنا فنجح واشترينا ما نتج عندها من الشرانق

وبالاختصار اقول في ختام هذا التقرير ان نجاح المشروع اصبح امرًا محققًا لاريب فيهِ وان اقبال الاهالي على شراء شجر التوت لترميهِ في اراضيهم هو اول خطوة في سبيل انتشار هذه الزراعة المفيدة

بسنديله في ٢٧ اغسطس سنة ١٩٠٤ خطار ثابت

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فلعلهُ ترقيًا في المعارف وانهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

ماهية الروح

جناب منشئي المقتطف الاغر

رأيت في الجزء التاسع من مجلتكم الغراء (شهر سبتمبر سنة ١٩٠٤) على الصحيفة ٨٢٥ سؤالاً من حضرة الفاضل الاديب بدران افندي احمد بالمنيا « عن ماهية الروح وما الذي يشابههُ » فالذي عنَّ لي

ان الروح ليس شيئًا يقوم بذاتهِ وانما هو نتيجة تركيب الجسم الحيواني الذي يتألف من مواد واخلاط على نسب مقدورة واوعية واجهزة مخصوصة فمتى تم التركيب هذا على الصورة التي احكم الله صنعها نتج الروح عنهُ فاذا عرض لهذا التركيب فساد فانهُ يعدم الروح

فمثل الروح كمثل الكهرباء التي تنتج من تركيب البطارية (الجهاز) ومعلوم ان الجهاز كثير التنوع فمنهُ ما يتألف من احماض ومنهُ ما هو من معادن الى غير ذلك مما ليس يخافي ولكن اراني في حاجة الى ايراد نوع منها — كنت عرفتهُ — استيفاء للعبارة فاقول لكي نتحصل على كهربائية نركب جهازًا على الوجه الآتي

نأخذ كاسًا او وعاء من الزجاج او الخزف نضع في اسفلهِ قرصًا من النحاس مربوطًا من جانبهِ بشريط نحاسي ليكون طرفًا في نهاية الوعاء ثم نضع في هذا الوعاء على قرص النحاس جانبًا من سولفات النحاس (التوتية الزرقاء) حتى نصف الوعاء ثم نضع فوقهُ جانبًا من نشارة الخشب حتى يتم امتلاء الوعاء الاَّ قليلاً ثم نأتي بقرص من الزنك (المعدن المعلوم) يكون ثقيلاً ونضعهُ على النشارة مربوطًا من طرفهِ بشريط من المعدن نفسهِ ثم يتعهد هذا الوعاء بقليل من الماء كي يصل هذا الماء الى آخر الوعاء فيبلل النشارة والتوتية فمتى تخمَّر هذا التركيب فاقبض باحدى يديك على طرف الشريط النحاسي وبالاخرى على الشريط الزنكي فمتى قبضت على هذا النحو شعرت بشيء هو الكهرباء

الفساد فقدان الكهرباء . اذا انقطع اي شريط من الشريطين او جفَّ الماء في الوعاء او نفدت فاعلية التوتية بمضي الزمن او حال حائل بين اتصال اي شيء من هذه المركبات الى غير ذلك فسدت الكهرباء فلا تعود تشعر بشيء اذا لمست الشريطين

ومعلوم انهُ اذا لم يحصل هذا التأليف الذي اشتمل عليهِ التركيب لم تنتج الكهرباء اصلاً فاذا لمست النحاس بذاتهِ او التوتية بذاتها او الزنك او النشارة فلست بشاعرٍ شيئًا

فالخلاصة ان الكهرباء نتيجة التركيب وانهُ اذا عرض فساد لهُ لا تنتج معهُ الكهرباء

هكذا الروح نتيجة من تألف التركيب الجسماني فاذا فسد شيء من مركباتهِ فقدت الروح لانهُ نتيجة ذلك التركيب فقد يكون الجسم الحيواني ملقىً امامك دون ان يفقد شيئًا من صورتهِ لانهُ فاقد الروح بفساد شيء مما اشتمل عليهِ من التركيب كما قد يكون الوعاء امامك على صورة مركبهِ ولكن لا كهرباء فيهِ عند ما فسد شيء من مركباتهِ ومن ثم قلت في ماهية الروح

وما الروح في الاجسام شيء بذاتهِ يكون لهُ بعد الجسوم بقاء
ولكن من التركيب كان نتيجة تمثلها في وصفها الكهرباء

" فسبحان الذي بيدهِ ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير "

والسؤال حيث ان الامر ما تقدَّم فهل لعلماء اوربا ان يبحثوا في طريقة حفظ هذا الروح اللطيف في جسمهِ بايجادهم اسبابًا لا يعرض معها فساد لذلك التركيب او على الاقل

يبقى الروح وقتاً اطول مما هو فان الامر كما قلتُ واقول فيهِ

لعمرك ما تلك الحياة رخيصةٌ فصنها . فما بعد الحياة حياةُ

محمد نور
المحامي

[المقتطف] ان الرأي الذي ابداهُ حضرة الكاتب الفاضل هو رأي المادّيين . والعلم الطبيعي يميل اليهِ لا سيما بعد ان ظهر لهُ الآن ما يدلُّ على ان المواد كلها ظواهر من ظواهر الكهربائية اي ان الموجود حقيقة هو الكهربائية لاغير ومنها تتألف صور المواد على اختلافها فالرجل دقائق كهربائية مجموعة على صورة مخصوصة . والكتاب دقائق كهربائية اخرى مجموعة على صورة اخرى وهلمَّ جرًّا . وقد كانت خطبة الوزير بلفور رئيس مجمع ترقية العلوم البريطاني هذا العام في هذا الموضوع ور بما عرَّبناها في الجزء التالي

فسخ الخطبة

حضرة الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

كثر لغط الجرائد الانكليزية في امر الخطبة والزواج وواجبات الخطيبين الواحد نحو الآخر على اثر فسخ الخطبة بين احد الموظفين الانكليز في الحكومة المصرية وابنة محافظ لندن وقد عثرت في احدى الجرائد الانكليزية على مقالة عنوانها " الزواج او عدمهُ " فرأيت ان اعرّبها لما حوتهُ من الفوائد الجمة . قالت الجريدة

" لو فرضنا ان رجلاً تحقق قبل زواجهِ بيومين ان خطيبتهُ لا تحبهُ او شعر من نفسهِ انهُ لا يحبها او رأى ان مهرها اقلُّ مما كان يؤمل . فماذا يفعل حينئذٍ

ولو فرضنا انهُ قرَّر فسخ الخطبة أيبلغ الجرائد قرارهُ او يترك الامر لخطيبتهِ لتعلن هي فسخ الخطبة صوناً لاسمها وشرفها . فقد جاءتنا رسائل تُرى في هذا الموضوع ذهب الكتاب في بعضها انهُ يجب فسخ الخطبة والغاء الزواج حتى الساعة الاخيرة اذا ظهر ان الخطيبين ليسا متلائمين وانهُ يجب ان يترك فسخ الخطبة للخطيبة لتكون البادئة بهِ حفظاً لكرامتها . فان ذلك خير للخطيبين وأبقى . فكم من فتاة تحقق قبل الزواج انها قبلت من لا يصلح لها ولا تصلح لهُ

فتساق الى حفلة الاكليل شهيدة الاعتقاد انهُ ليس من الشرف ان تنقض الخطبة بعد ابرامها. ولكن أليس كسر عرى الخطبة اشرف من كسر القلوب "

هذا ما قالتهُ الجريدة وقد ذيلت مقالها بأقوال بعض مراسليها وهاك بعضها . قال مراسل بامضاء " القانون والنظام " انهُ لو كان الفتيات يرافعن الشبان الذين يخطبونهنَّ ثم يفسخون الخطبة لقلت حوادث فسخ الخطبة قبيل الزواج

وقال آخر معها قلنا في ذم الشاب الذي يعلن فسخ خطبتهِ على رؤوس الاشهاد قبيل الزواج لم نكن مبالغين في ذلك . فان عرى الخطبة تكاد تكون مثل عرى الزواج متانة في بعض البلدان فهذا لو جرى مثل ذلك في انكلترا . ويجب ان تعقد الخطبة بموجب عقد قانوني شرعي وتعامل مثل سائر العقود في نظر القانون

وكتبت امرأة بامضاء "جدّة" تقول كثيرًا ما نسمع بنقض عهود الخطبة هذه الايام ولا عجب في ذلك ولا غرابة ما دام الشبان لا يعتدون بالخطبة ولا يكترثون لها . وذلك لان بنت هذا الزمان لا يهولها تبدل خمسة اوستة من الخطباء عليها قبل زواجها . فيفقد الشبان ثقتهم بالبنات ولا يعدّون نقض عهود الخطبة جرمًا كبيرًا ولو كان ذلك في ساعة الاكليل . ولما كان ذلك كذلك فلا عجب اذا فقد الزواج كثيرًا من رونقهِ وبهائهِ . انتهى

هذا راي الجريدة الانكليزية وهذه آراء مكاتبيها فهلاَّ اتحفتنا كتابنا بآرائهم في هذه المسألة ولهم الفضل والمنة فانها من المسائل التي تشغل العقول والاذهان وتتكرر من آن الى آن فينشأ عن تكرارها ضغائن واحقاد في الصدور ويمسي الزواج بها مضغة في الافواه وفضلة يستغنى عنها بدلاً من ان يكون ركنًا من اعظم اركان العمران . ورجسًا ينفر الناس منهُ بدلاً من ان يكون فرضًا مقدسًا يحرصون على ادائهِ . وبيت الحبُّ الذي هو اساس الزواج في كل ملة ونحلة ادنى الرذائل لا اسمى الفضائل كما هو في الحقيقة

(طالب)

باب المسائل

لحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف • بشرط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه وافاده ومحل اقامته امضاء وافيًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفًا تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم تدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرّر مسائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر تكون قد اهملناه لسبب كان

(١) الضعف والقوة والسمن والنحافة

طرابلس الشام • خليل افندي نحاس •

ترى رجلاً نحيف الجسم لكنهُ قويٌّ وآخر سمينًا لكنهُ ضعيف فلماذا هذا الاختلاف في بنيتيهما وقوتيهما • وهل يمكن ان يصير السمين نحيفًا والنحيف سمينًا وما هي التدابير اللازمة لذلك

ج ان الميل الى النحافة والسمن والقوة والضعف وراثي واكتسابي اما الوراثي فيكون اذا كان احد الوالدين سمينًا او نحيفًا او قويًّا او ضعيفًا او كانا كلاهما كذلك • ولكن كون الوالدين سمينين لا يقضي ان يسمن اولادهما او ان يميلوا الى السمن لانهم قد لا يرثون ذلك الميل منهما او قد يقاومونهُ في الاستعمال • وما يقال عن الميل الوراثي الى السمن يقال عن الميل الوراثي الى النحافة والى القوة اوالضعف • والنحافة تكتسب بقلة الاكل وقلة النوم وكثرة الشغل العقلي وكثرة الرياضة البدنية • وافعل هذه الاسباب كلها قلة الاكل • والسمن يكتسب بكثرة الاكل وكثرة النوم وقلة الشغل العقلي وقلة الرياضة البدنية • وافعل هذه الاسباب كلها كثرة الاكل • والقوة تكتسب بكثرة الرياضة البدنية • والضعف بقلتها • وقد يأكل الانسان كثيرًا ولا يسمن لانهُ لا يهضم اكلهُ اما لقلة مضغهِ او لضعف معدتهِ او لضعف التمثيل في جسمهِ هذا اذا استعمل بقية الوسائل التي تعين على السمن

(٢) تقدم اليابانيين وتأخر الروس

ومنهُ • سرّ الشهر السادس على الحرب في الشرق الاقصى واليابان لا تزال تتقدّم الى الامام وقد اوشكت ان تحتل منشوريا باسرها وتطرد الروس منها • وكلٌّ يعلم ان الروس لم يفوزوا بمعركة مطلقًا فما هو سبب ذلك مع ما هو مشهور من بأسهم وشدتهم • واذا قيل ان ذلك يعزى الى قلتهم ووفرة اعدائهم افلا يسوغ لنا ان نقول ان المُدافع يقدر ان يقف في وجه خمسة من المهاجمين

ج لا خلاف في ان السبب الاكبر لفوز اليابانيين كثرة عَددهم وعُدَدهم فانهم

اكثر عددًا من الروس واكثر منهم مَدافع وقد كانوا كذلك في كل المواقع . ولا يصحُّ قولكم ان المُدافع يقدر ان يقف سبعة وجه خمسة مهاجمين الاَّ اذا كان المُدافع داخل ابراج وحصون كما في بورت آرثر واما في المواقع التي لا تحميها الاسوار والحصون المنيعة فحال المهاجم اصلح من حال المدافع لان المهاجم يستطيع ان يختار الاوقات التي يهاجم فيها والجهات التي يهاجم منها فيجمع قوة عظيمة على هذا الموقع حتى يفوز بهِ ثم ينتقل الى موقع آخر وهلمَّ جرًّا ولذلك يهتمُّ كلٌّ من المتحاربين في عرض البلاد ان يكون مهاجمًا حالما توازي قوتهُ قوة خصمهِ . ولا عبرة بما يفعلهُ كلٌّ من الخصمين لتحصين موقعهِ حينئذٍ لانهُ لا يكون حصونًا منيعة بل عقبات في طريق المهاجم تصدُّهُ قليلاً لكنها لا تمنعُ قنابل مدافعهِ ولا رصاص بنادقهِ

(٣) الاسطول الياباني والاسطول الروسي

ومنهُ . اتظنون ان ستقوم قائمة للروس في البحر بعد نكبتهم الاخيرة اذا اجهز اليابانيون على ما بقي من اسطول بورت آرثر

ج ان اسطول البلطيك مثل اسطول اليابان قوة ان لم يكن اقوى منهُ فاذا استطاعت روسيا ان توصلهُ الى الشرق الاقصى وتوصل معهُ فحمًا كافيًا لهُ وحوضًا كبيرًا لاصلاحهِ فلا يبعد ان تقوى بهِ على اسطول اليابان

(٤) نهاية الحرب

ومنهُ . هل يستطيع الروس ان يجددوا الحرب بعد ان يخلوا منشوريا

ج نعم وهذه الحرب لا تنتهي باخلاء منشوريا بل بعجز احدى الدولتين عن مداومة الحرب ماليًّا او بتوسط دول اخرى ترى ان ما حدث للروس واليابان كافٍ لاضعافهما

---

(٥) ثديا الرجل

بيروت . عثمان افندي ستو . ما هي فائدة ثديي الرجل وهل لها فائدة خصوصية او وجودها اضطراري

ج لا فائدة منهما الآن ويحتمل انهما كانا في غابر الازمان كبيرين وكان الرجل يرضع اولادهُ كما ترضع المرأة اولادها ثم ابطل الرجل استعمالها لما تفرَّغ للحرب والاعمال الشاقة فضعفا رويدًا رويدًا الى ان صارا اثرين كما يحتمل انهما نموا وكبرا في المرأة فقط وبقيا في الرجل صغيرين لانهُ لم يستعملهما قط . والغالب انهما يتضخمان قليلاً في اول سن البلوغ وقد يدرَّان شيئًا من اللبن حينئذٍ ويسهل تفسير ذلك بالوراثة او بالعود الى الاصل

(٦) الوحام

ومنهُ . اصحيح ما يقال من ان المرأة تشتهي شيئًا في مدة وحامها من نوع المأكول او المنظور فيظهر لذلك اثر في المولود

ج كلاً ولكننا نظن انهُ يحدث من وقوع نظر الزوجين على شيءٍ ما وتكرُّر ذلك مراراً كثيرة ان يظهر لصورة ذلك الشيء اثر في النسل وان هذا هو سبب تشكُّل بعض انواع الفراش بصور بعض الازهار التي تعيش بينها وسبب ترقُّط ابدان الحيوانات التي تقيم في الغابات حيث تظهر الاظلال مرقطة بما يتخللها من نور الشمس وسبب تلوُّن بعض الطيور بلون ما تعيش فيهِ من الارض كالحجل الذي يشبهُ لونهُ لون الارض تماماً . فاذا صحَّ هذا الظن وصدق على الانسان ايضاً عُلِّل بهِ رسوخ جمال الوجه في بعض الامم وصيرورتهُ فيها وراثيًّا بعد ان كان صناعيًّا كزجج الحواجب وكحل العينين ولي الشفتين ولم نرَ لاحد كلاماً في هذا الموضوع ولا مكنتنا الفرص من استقراء البحث فيهِ حتى الآن

(٧) قدم الانسان

ومنهُ . يظهر لنا مما نطالعهُ في بعض المجلات العلمية ان علماء الطبيعة يقولون بوجود الانسان على هذه البسيطة منذ الوف كثيرة من السنين . فكيف عرفوا ذلك هل رأوهُ في تاريخ مكتتب او استنتجوهُ استنتاجاً . وما اقدم تاريخ مكتتب . او ما هي الادلة التي استدلوا منها على قدم الانسان

ج ان في علم الانسان وعلم آثارهِ وعلم آثار الاحياء وعلم الفسيولوجيا الحيوانية وعلم الاجنة ادلة كثيرة على ان الانسان وجد على هذه البسيطة منذ الوف من السنين الاَّ اذا كان الخالق قد خالف في خلقهِ سنة سائر المخلوقات فخلقهُ دفعةً واحدةً كما هو الآن . فالآثار القديمة تدلُّ دلالة واضحة على ان الفرق بين اصناف الانسان الابيض والاصفر والاسود كان موجوداً منذ خمسة الاف سنة كما هو موجود الآن تماماً واذا كان الناس من اب واحد وام واحدة فلا يحدث ذلك الاَّ في الوف من السنين . والآثار تدل ايضاً على ان الناس اتصلوا الى تنظيم الممالك وبناء المدن واتقان الصناعات وسن الشرائع منذ ستة الآف سنة او اكثر . وهذهِ كلها من الامور التي لا يتدرَّج اليها الناس الاَّ في الازمنة الطويلة . وقد وجدت آثار الانسان في كهوف الارض مع عظام بعض الحيوانات المنقرضة في اماكن لا تعيش فيها تلك الحيوانات الآن وتدلُّ الدلائل على انها انقرضت منها في العصر الجليدي الذي عمَّ اوربا وشمالي اسيا . ويستدل من بعض الدلائل الفلكية على ان هذا العصر كان آخر مرة منذ نحو عشرة الآف سنة فقد كان الانسان عائشاً هناك منذ اكثر من عشرة الآف سنة

ثم ان جنين الانسان يتشكل على صور شتى فيكون — مثل اجنة الاسماك والطيور

والوحوش ويكون جسمهُ مغطى بالشعر الغزير قبلما يولد ويولد شبيهاً بجنين القرود ولا يفسر هذا التغيير تفسيراً معقولاً الاَّ بان الجنين يمرُّ في تكوُّنهِ على الاطوار التي مرَّت عليها انواع الحيوان في ارتقائها . هذا عدا ما في جسم الانسان من الاعضاء الاثرية التي لا فائدة منها الآن ولكنها تدلُّ دلالة واضحة على انها بقايا اعضاء مفيدة ضعفت بعدم الاستعمال مدة الوف من السنين كشدوقي الرجل المشار اليها في سؤال سابق فهما مثل الزرين اللذين في السترة الافرنجية من الوراء ومثل الازرار التي على الكمين فان هذه الازرار كلها لا فائدة منها الآن ولكن كان لها فائدة في غابر الزمن . فالزران اللذان الى الوراء كان ذيلا السترة يعلقان بهما لكي يظهر السيف الذي كان الناس يتقلدونهُ حينئذٍ والازرار التي على الاكمام وضعت عليها في ثياب الجنود اولاً وذلك لمنعهم من مسح انوفهم باكمامهم وتوسيخها بها

ولعلَّ التوراة اقدم تاريخ مكتوب كتابة . ومن الدروج المصرية ما هو اقدم منها ولكنهُ ليس تاريخاً . اما الآثار المصرية والبابلية المنقوشة نقشاً على الصخور والاجر فكثير منها أقدم من التوراة ويمتد تاريخ بعضها الى ستة الآف سنة قبل التاريخ المسيحي

---

(٨) الالهام والتعلم

دمشق . احد المشتركين . بماذا يهتدي الانسان الى معرفة الدين الحقيقي هل من الهام يأتيهِ او مما يتعلمهُ من والديهِ ومعلميهِ فان كان الاول فاي لوم عليهِ اذا نشأ على ضلال ولم ينعم عليهِ بالالهام وان كان الثاني فايُّ لوم عليهِ وقد تعلم ما تعلمهُ من والديهِ ومن الذين حواليهِ

ج قد يتعلم الانسان من والديهِ ومن الذين حواليهِ اموراً كثيرة يضرهُ الجري عليها ويقتبس عادات يضرهُ اتباعها كاهمال النظافة واهمال التدابير الصحية واكل المآكل الفاسدة فيضرُّ ولا يعذر بانهُ تعلم ذلك من والديهِ وجرى على خطتهم فانهُ أُعطي عقلاً يميز بهِ بين ما ينفعهُ وما يضرهُ فيتمسك بالاول ويبتعد عن الثاني واذا اعتمد الانسان على عقلهِ وعلى ارشاد العقلاء فالغالب انهُ يجد في كل دين ما يأمرهُ بالمعروف وينهاهُ عن المنكر مما لو عمل بهِ لوفى بالفرض الذي وُجد لاجلهِ

باب الاخبار العلمية

مقام الانسان في الخليقة

الف الدكتور وليس كتاباً موضوعهُ "مكان الانسان من الكون" ذكر فيهِ القضايا الآتية وهي

(١) ان عالم الكواكب والاجرام السموية مجموع مرتبط الاجزاء لهُ امتداد محدود

(٢) ان النظام الشمسي واقع في مجرى المجرَّة نحو اواسطها . وعليهِ فالارض في مركز عالم الاجرام السموية تقريباً

(٣) ان الكون مؤلف من نوع واحد من المادة في جميع اجزائهِ وهو خاضع لنواميس طبيعية وكيماوية واحدة

هذه قضايا قال انها ثابتة لا تقبل الشك واما القضايا التي رجحها فهي

(١) ليس بين سيارات النظام الشمسي سيار مسكون او يصلح للسكن الاَّ الارض

(٢) ليس في الكون شمس تتبعها سيارات مسكونة غير شمسنا

(٣) ان موقع الشمس المركزي ثابت لا يتغير وقد يكون لازماً لوجود الحياة على الارض

وخلاصة ذلك كلهِ ان الانسان رأس المخلوقات العاقلة انما هو موجود في الارض دون غيرها من اجزاء الكون وان نوع الانسان غاية هذا الكون العظيم الواسع الاطراف الممتد الاكناف

والدكتور وليس من اشهر علماء الطبيعة وهو قسيم دارون في مذهب النشوء

تعاليم كنفوشيوس

كنفوشيوس فيلسوف الصين وحكيمها الكبير مضى عليهِ اكثر من الفي سنة ولا تزال تعاليمهُ محترمة في الصين كلها يجلها الصينيون ويخضعون لها خضوعهم لاعظم الشرائع والقوانين وهو مالم يسبق لهُ مثيل في تاريخ البشر لان سياوان تعاليمهُ دنيوية محضة لا علاقة لها بالدين . فانها تبحث في واجبات الناس بعضهم نحو بعض في هذه الحياة ولا تذكر شيئاً عن الله ولا عن الحياة بعد الموت . قيل سألهُ وزير من وزراء الدولة ما هي الحكمة فأجابهُ "ان الحكمة ان يقف كلُّ انسان نفسهُ على اتمام واجباتهِ نحو الناس ويحترم الارواح ان كان هناك ارواح ويبتعد عنها" وسألهُ تلميذ من تلامذتهِ عن عبادة الاسلاف فأجابهُ "ان كنت لا تستطيع ان

تخدم الناس فكيف تستطيع ان تخدم الارواح " وعاد هذا التلميذ فسألهُ عن حالة الانسان بعد الموت فأجابهُ " ان كنت لاتعلم ماهية الحياة فكيف تعلم ماهية الموت"

وقد جمع خلاصة تعاليمهِ في ثلاث كلمات وهي " لي · شو · تشنتز" ومعنى " لي " شريعة العمل الصالح الاولى والاخيرة وهي ان يعمل الانسان الواجب في الوقت الواجب والطريقة الواجبة وللسبب الواجب · وفسر كنفوشيوس نفسهُ معنى كلمة " شو" فقال هو " ان لا تفعل بالآخرين مالا تريد ان يفعلوا بك " ومعنى " تشنتز " الرجل الكامل والرجل الكامل لايعمل عملاً دنيئاً في معاملتهِ للآخرين ولا يجلس في مجلس لايستطيع ان يحافظ فيهِ على كرامتهِ · ولا يحتقر من دونهُ ولا يستجلب رضى من فوقهُ بوسائط دنيئة · وهو يصلح نفسهُ ولا يفتش عن عيوب الغير ولا يتغاظ من احد ولا يتذمر على الله ولا على الناس

مرض النوم

كتب الاستاذ راي لنكستر مقالة في مجلة كوورترلي الانكليزية جمع فيها خلاصة ماعُرف عن مرض النوم الى الآن فقال انهُ نشأ في بلاد الكونجو غربي افريقية فلم يكد يؤثر في الاهالي فلما انتقل الى اوغندا بات وباء قتالاً وقد مات بهِ اكثر من مئة الف نفس في السنوات الاخيرة · ولم يكتشف لهُ علاج شافٍ حتى الآن ولا عرف ان احداً من الذين اصيبوا بهِ شفي منهُ

اما اعراضهُ فهي تغير السحنة تغيراً واضحاً وتعاقب الحمى والم الرأس على المريض وقد يدوم على هذه الحال عدة اسابيع ثم يعسر عليهِ المشي والكلام ويستولي الارتعاش على لسانهِ ويديهِ وتزيد الحمى ويأخذهُ النوم فلا يستفيق الاَّ اذا أُوقظ لتناول الطعام · وبعد ثلاثة اشهر او اربعة من ابتداء المرض يقع في سبات عميق ويمتنع عن الاكل ويهزل جسمهُ وتظهر القروح عليهِ فيموت وهو على تلك الحال · وقد يدوم المرض من شهرين الى سنة

واما سببهُ فحلَم صغيرة ينقلها من انسان الى انسان نوع من الذباب يسمى تستزيه والذبابة منهُ اكبر من الذبابة العادية بقليل وهي لاضرر منها عادة الاَّ اذا وجدت الحلَم المذكورة فتنقلها من المريض الى السليم

اغنى القبائل

في الطرف الشرقي من لنج ايلند على مئة ميل من مدينة نيويورك بقية من هنود اميركا من قبيلة المنشوك التي كان لها شأن كبير في تاريخ تلك البلاد · عدد نفوس هذه البقية ثلثمئة وقد ابقت لهم الحكومة الاميركية ستة آلاف فدان يسكنون فيها ويعيشون منها

وتسمى رأس المنتوك الى الآن . ومنذ مدة ارادت شركة البواخر التي يرئسها المستر بيربنت مورغان ان تجعل هذا الرأس محطًا لبواخرها الآتية من لفربول الى نيويورك فتقصر المسافة بين المدينتين مئة ميل فعارضها الهنود في ذلك وقام رئيسهم واسمهُ الملك فرعون يقاضي شركة البواخر وهو شاب درس في مدرسة يايل الجامعة وتخرج فيها واعتمد في دفاعهِ عن قبيلتهِ على معاهدة أُبرمت بين المنتوك والبيض سنة ١٦٦٣ يقال فيها ان رأس المنتوك يبقى لقبيلة المنتوك ملكًا ابديًا . ومنذ خمسين سنة اغفل البيض هذه المعاهدة واستولوا على رأس المنتوك وداعتهم القبيلة فلم يحكم لها فرعون دعواهُ الى المجلس الاعلى في وشنطون فحكم ان تعطى القبيلة بدلاً من تلك الارض ستمئة الف جنيه توزَّع على نفوسها بالسواء فيخص كل رجل وكل امرأة وكل ولد وكل طفل الف جنيه . واودع المال في خزينة الحكومة الاميركية وايح لاعضاء هذه القبيلة ان ياخذوهُ منها او يبقوهُ فيها ويكتفوا بربحهِ

إطالة العمر

بين اساتذة مستوصف باستور في باريس استاذ اسمهُ متشنيكوف وقد اشتهر باكتشافهِ وظيفة الكريات البيضاء التي في دم الانسان فأبان انها اشبه بجيش يجول ويصول في الجسم ويكرُّ على الاعداء التي تحاول اغتيالهُ والفتك بهِ . فاذا دخل مكروبٌ الجسمَ انقضت الكريات البيضاء عليهِ واهلكتهُ ثم اغرقتهُ في تيار الدم المندفع اندفاع السيل واقتاتت بهِ وليس لها من غاية سوى حماية الجسم من غارات اعدائهِ . فاذا بترت اصبع من الاصابع هبَّت الكريات الى مكان البتر باسرع من لمح البصر وجعلت ترأب الصدع وتلأم الجرح وتفتك بكل مادة ضارة تعلق بالاصبع فلا يبقى للمكروب مجال لدخول الجسم والنجاة منها الاَّ بقدر ما للبزاقة التي تسطو على خلية النحل من فرص النجاة من لسع حماتها

اما رأي الاستاذ متشنيكوف الذي بناهُ على هذا الاكتشاف فخلاصتهُ انهُ لا يمكن ان يطرأ على الجسم مرض الاَّ اذا ألمَّ بالكريات البيضاء ضعف يمنعها من مقاومة المكروبات فتتحوَّل الى اعضاء الجسم الحيوية وتقتات بها فتبيت عونًا للاعداء عليها لا لها . وعندهُ انهُ لا بدَّ ان يكتشف مصل تبقى الكريات البيضاء بهِ قوية شديدة فيسلم الجسم من شرّ الآفات والامراض ويطول بهِ عمر الانسان فبدلاً من ان يموت في سنّ السبعين يموت في سنّ المئة والاربعين . ويتبدَّل وجه هذا الكون وتدخل الفلسفة طورًا جديدًا وتتغير المذاهب ويعود الانسان لا يخشى الموت بل يستقبلهُ بثغر مفتر ووجه بسَّام فيرين على الابدان كما يرين الكرى على الاجفان لانهُ

يشبع من الحياة ويتعب فيرى الموت في صورة ملاك هابط عليهِ والشفاء في جناحيهِ

قال احد كبار العلماء مرة لبعضهم انني لا أرى سبباً يجعل الموت ضربة لازمة على الانسان . فلو ان صانعاً صنع جسم الانسان وارانيهِ لأبدي رأيي فيهِ لاعجبت بدقة صنعتهِ ولانتقدت عيباً واحداً فيهِ ورغبت اليهِ في اصلاحهِ . فان الجسم يبني سيء احد اطوار العمر اكثر مما يهدم ويبقى كذلك مدة طويلة ثم تنقلب الحال ولكن لماذا تنقلب وياخذ الجسم في الاندثار والانحلال فيعود وهو لا يستطيع اصلاح ما فسد وترميم ما تقوَّض وتجديد ما اندثر وتركيب ما انحلَّ

وقال احد الاطباء ان من اهم الامور لدوام الصحة الطعام الذي نأكلهُ ونستمد الغذاء منهُ . ولا نعلم حتى الآن ما اذا كان الطعام الذي نأكلهُ صالحاً لتغذية الجسم او غير صالح لها . على ان من القواعد المقبولة عموماً ان شرب الكحول مضرٌّ بالجسم والاكثار من أكل الاطعمة الحيوانية مفسد لقوامهِ مقوض لاركانهِ هادٌّ لبنيانهِ . والخبز الابيض لا فائدة منهُ البتة . ولكن هناك قوماً لا يرون هذا الرأي بل يقولون بفائدة الكحول واللحوم والخبز الابيض ويدافعون عنها جهد الطاقة . وهذا كلهُ يدل على ان العلم لا يزال بعيداً مراحل كثيرة عن حلِّ سرِّ الحياة

الكسوف القادم

اشاع بعض جرائد القطر المصري خطاء ان الشمس تكسف في شهر اغسطس الماضي في يوم يستحيل ان تكسف فيهِ لانها لاتكسف الاَّ في المحاق في آخر الشهر القمري او اولهِ . والصحيح ان الشمس كسفت في ٩ سبتمبر الماضي كسوفاً لا يعدهُ علماء الفلك مهمًّا لان الظلَّ وقع في الاوقيانوس الباسيفيكي ولم يصب جزيرة معروفة فلم تمكن مراقبتهُ ثم انتهى عند ساحل شيلي . وستكسف الشمس كسوفاً تاماً في ٣٠ اغسطس القادم سنة ١٩٠٥ وهو الكسوف الذي ارادتهُ الجرائد المذكورة فقدمتهُ سنة على اوانهِ الحقيقي . وعلماء الفلك ينتظرونهُ بذاهب الصبر لسهولة مراقبتهِ ورصدهِ فان الظلَّ يبدأ من جنوب خليج هدصن في اميركا الشمالية ويمتد شرقاً فيصيب الاوقيانوس الاتلنتيكي فشمالي اسبانيا بشرق فشمالي الجزائر فشمالي تونس فاصوان ثم ينتهي جنوبي بلاد العرب . وسيقصد اسبانيا كثيرون من علماء الفلك في اوربا واميركا لرصدهِ منها

اما في اصوان فان الكسوف يبدأ الساعة ٣ والدقيقة ٢٦ والثانية ٢٨ بعد الظهر ويكون علو الشمس ٢٩ درجة ومدة الكسوف التام دقيقتين و ٣٣ ثانية

الموسم الاميركاني

متى قيل الموسم عُرف ان المراد بهِ القطن الذي ينتج سنويًّا في الولايات المتحدة الاميركية من ١ سبتمبر الى ٣١ اغسطس في العام التالي وقد نشرنا في الجزء الماضي جدولاً ذكر فيهِ مقدار الموسم منذ ١٧ سنة الى الآن ومساحة الارض المزروعة ووقفنا الآن على جدول آخر يظهر انهُ ادق من الاول ولو كان الفرق بينهما قليلاً وقد ذكر فيهِ مقدار ما بلغهُ الموسم في ٣١ اغسطس من كل سنة ومساحة الارض التي كان مزروعًا فيها

السنة	المساحة	الموسم بالات
١٨٩٥	٢٠١٠٧٠٠٠	٩٨٩٣٠٠٠
١٨٩٦	١٩٧٠٢٠٠٠	٧١٦٢٠٠٠
١٨٩٧	٢٠٠٥٨٠٠٠	٨٧١٤٠٠٠
١٨٩٨	٢٢٠٥٧٠٠٠	١١١٨١٠٠٠
١٨٩٩	٢٣١٧٤٠٠٠	١١٢٣٥٠٠٠
١٩٠٠	٢٤١٧٥٠٠٠	٩٤٣٩٠٠٠
١٩٠١	٢٦٥٣٤٠٠٠	١٠٤٢٥٠٠٠
١٩٠٢	٢٧٨٧٤٠٠٠	١٠٧٠١٠٠٠
١٩٠٣	٢٧٣٠٠٠٠٠	١٠٧٥٨٠٠٠
١٩٠٤	٢٨٩٩٨٠٠٠	١٠٠١١٠٠٠
١٩٠٥	٣٢٨٠٠٠٠٠	

ويقال ان الموسم الذي ابتدأ في اول سبتمبر هذه السنة وسينتهي في ٣١ اغسطس سنة ١٩٠٥ لا يزيد على ١١٢٥٠٠٠٠ مع انهُ لما صدر تقرير الحكومة عن حالة الزراعة في اغسطس كان المظنون انهُ يزيد على ١٢ مليون بالة او ١٢ مليون ونصف ولكن عرض لهُ من عوارض الحر والجفاف والمطر والدود ما افسد جانبًا منهُ حتى لا يقدر الآن باكثر من احد عشر مليونًا وربع مليون والمعامل في اوربا واميركا تحتاج الى اكثر من ذلك وقد قدر بعضهم انها تحتاج الى ١١٤٥٠٠٠٠ بالة من القطن الاميركي ولذلك اخذت الاسعار ترتفع بعد ان هبطت كثيرًا فارتفع سعر القطن المصري ايضًا وبلغ سعر الكنتراتات المصرية حين كتابة هذه السطور نحو ١٥ ريالاً وبيع القنطار من القطن المصري بثلثمئة وستين غرشًا حيث كان يباع في العام الماضي في مثل ذلك اليوم بثلثمئة وخمسة وسبعين غرشًا ولذلك ينتظر ان لا ينقص ثمن القنطار هذا العام عن ثمنهِ في العام الماضي سوى ريال واحد

اطول الحيوانات عمرًا

سمع احد العلماء منذ عدة سنوات ان في جزيرة سيشل قرب مدغشكر سلحفاة كبيرة ثقلها ٩٧٠ رطلاً مصريًّا وان هناك ادلة تثبت انها عاشت بين الاهالي منذ ١٥٠ سنة وادلة اخرى ترجح ان عمرها ليس اقل من ٣٠٠ سنة . فقصد الجزيرة المذكورة يروم استئجار السلحفاة ليعرضها في معرض سنت

لويس باميركا . فرفض الاهالي ان يجيبوه الى طلبه لانهم يكرمونها ويجلّون قدرها . ولم يتحولوا عن رفضهم حتى تكفل لهم بان يعيدها اليهم سالمة . ولما وصلت الى اميركا وجدوا نخلة صغيرة اخذت تفرخ في ظهرها . وكيفية ذلك انها مولعة بالخوض في الوحول وكأن بعض الوحل وفيه نواةُ تمرٍ علق بظهرها وسقط في شقٍّ عميق من شقوقه فأفرخت ونبتت فيه

ومما يدلُّ على ان عمرها يبلغ ٢٥٠ سنة او اكثر ضخامة بدنها وهيئة ترسمها وحالتهُ وهو يتخذ عادة دليلاً لمعرفة عمر السلاحف

مجمع ترقية العلوم البريطاني

التأم مجمع ترقية العلوم البريطاني في مدرسة كمبردج في اواسط شهر اغسطس الماضي فخطب فيه المستر بلفور رئيس وزراء الانكليز الآن خطبة الرئاسة . وجعل مدار خطبته على المذهب الجديد في المادة وهو انها كهربائية فبيّن ان معارف الناس المبنية على شهادة الحواس غير يقينية لانها تُنقض من وقت الى آخر وانهُ اذا أُريد البحث عن الامور اليقينية فذلك منوط بالفلسفة لا بالعلم الطبيعي وهو في ذلك كالمستجير من الرمضاء بالنار

طيارة حربية

اخترع عالم المانيٌّ اميركيٌّ طيارة تستعمل في الحرب وترسل الاشارات منها واليها بنوع من التلغراف الذي بلا سلك اكتشف حديثاً . وقد جربت امام امبراطور الالمان وحاشيته وضباط البحرية ولم يسمح لاحد من عامة الاهالي بمشاهدة التجربة فاطيرت سبع طيارات باسلاك من النحاس الى علو ١٢ الف قدم وأُطير بعضها من قارب البريد الخاص بالامبراطور وكان يسير بسرعة ٣٠ ميلاً بحريًّا في الساعة واستعملت عدة لغات في الاشارات

الورق الياباني

يصنع اليابانيون من لحاء الاشجار انواعاً من الورق تفوق في جودتها ما يصنع منها في اوربا ولما كان غالب جدران منازلهم من الخشب فانهم يلصقون عليها نوعاً من الورق السخيف يحجب الريح ولا يحجب النور . والورق المزيت رخيص عندهم جدًّا ومتين وهم يستعملونهُ للوقاية من الامطار فيردُّ الماء كما يردُّهُ الشمع الاَّ انهُ يفضل الشمع بخفته والحمّالون يلبسونهُ اثوابًا يكفّ الثوب منها نحو فرنك ويلبسهُ الواحد منهم سنة او اكثر بلا انقطاع . وتصنع اكياس الدقيق والقمح من نوع من الورق يعسر على الحشرات خرقهُ على ان احسن انواع الورق عندهم نوع يستعملونهُ مكان الجلد لوضع التبغ فيه وهو متين ليّنٌ ويكاد يكون شفّافاً

ساعة جديدة

اخترع احد الاميركيين نوعاً جديداً من

الساعات الكبيرة شاع استعمالهُ هذه الايام في المحلات التجارية المشهورة في نيويورك. والفرق الجوهري بينهُ وبين الساعات الاعتيادية الكبيرة هو ان الساعة منهُ لاعقربين لها يستدلُّ بهما على الساعة والدقيقة بل ان هناك ارقاماً تدلُّ على الوقت فارقام الساعات الى فوق وارقام الدقائق الى تحت. فاذا كانت الساعة ٨ والدقيقة ٢٥ ظهر رقم ٨ فوق رقم ٢٥ هكذا $\frac{8}{25}$

فرش الشوارع بالصمغ الهندي

فرش احد شوارع لندن بالصمغ الهندي (اللاستك) سنة ١٨٨١ فكانت نفقة اليرد المربع نحو جنيه ونصف للاساس ونحو ٥ جنيهات ونصف للصمغ ونفقة اليرد المربع في السنة نحو عشرين صاغ. وكان سمك الصمغ حينئذٍ عقدتين. وفي سنة ١٩٠٢ اخذ قسم من الصمغ المفروش في آخر الشارع قرب محطة سكة الحديد وفحص فوجد ان سمكهُ قلَّ نحو ٨/٥ العقدة حيث يكثر وطء اقدام الخيل. وفحصت اقسام اخرى مفروشة سنة في وسط الشارع حيث تزدحم اقدام المارة ويكثر دوس الخيل فوجد ان سمكها قلَّ عقدة في بعض الاماكن وعقدة وربعاً في غيرها فاضطروا الى نزع الصمغ القديم وابداله بصمغ جديد وطلبوا من الشركات المختلفة ان تقدم طلبات المناقصة ففعلت فكان اكثر طلب ١٧ جنيهاً ونصفاً ثمن اليرد المربع واقلهُ ٥ جنيهات ونصفاً

يأكل الافاعي بعضها بعضاً

روت احدى الجرائد العلمية الانكليزية ان بعضهم شاهد الافاعي تأكل بعضها بعضاً وهذا ما لم يسمع بهِ قبلاً بل كلُّ ما سمع انها تأكل حيوانات ليست من نوعها. قالت الجريدة والمرجح انها لا تفعل ذلك وهي في حالتها الطبيعية

سنُّ الفيل

متوسط ما يصدر من ولاية الكنجو الحرقمن العاج (سن الفيل) سنوياً نحو ٦٤٧ الف كيلو منها ١٤٤ الفاً ترسل الى الهند والصين والباقي الى الاسواق الاوربية. وثمن الكيلو من السنّ العال ٣٠ فرنكاً ومن الوسط ٢٤ الى ٢٥ ومن الدون ١٣ الى ١٥

احصاء سكان فرنسا

يحصى سكان فرنسا مرة كلَّ خمس سنوات. وآخر مرة احصوا فيها كانت سنة ١٩٠١ فبلغوا حينئذٍ ٣٨ ٩٦١ ٩٤٥ نفساً اي انهم زادوا ٤٤٤ ٦١٣ نفساً عما كانوا عليهِ في الاحصاء الذي جرى قبل ذلك بخمس سنوات وكانوا قد زادوا ١٧٥ ٠٢٧ نفساً في الاحصاء الذي قبلهُ. وهذا النموُّ بطيء جداً بالنسبة الى نموّ سائر الشعوب الاوربية

بعض المعارك الكبيرة في القرن الماضي

اولها معركة ليبسك سنة ١٨١٣ كانت الجنود الفرنسوية فيها ١٨٠٠٠٠ وخسرت ٢٥٠٠٠ بين قتيل وجريح وجنود اعدائهم ٣١٠٠٠٠ وخسروا ٤٥٠٠٠ . ومعركة سادوى سنة ١٨٦٦ بين النمسويين والبروسيانيين تحارب فيها ٤٢٠٠٠٠ وبلغ عدد القتلى والجرحى ٣٢٠٠٠ . ومعركة سيدان كان عدد الالمانيين فيها ١٨٠٠٠٠ وعدد الفرنسويين ٢٠٠٠٠٠ وبلغ عدد القتلى والجرحى ٢٧٠٠٠ ومعركة سان بريفه تحارب فيها ٣٤٠٠٠٠ وبلغ عدد القتلى والجرحى ٢٧٠٠٠

لحم الدجاج

يظن العامة ان لحم الدجاج يختلف كثيراً عن لحم البقر والضان في صفته وفعله وهضمه والحقيقة انهُ قلما يختلف عنها من هذا القبيل اما من جهة الهضم فانهُ اسهل هضماً من لحم الضان والبقر ولكن قليلاً وكلما سمنت الدجاجة كان لحمها اعسر هضماً والفراخ اسهل هضماً من الدجاج الكبيرة وعضلاتها القليلة الحركة كعضلات الصدر اسهل هضماً من العضلات الكثيرة الحركة كعضلات الفخذ

سفينة الدسكفري

وصلت الدسكفري الى البلاد الانكليزية عائدة من انحاء القطب الجنوبي وهي السفينة التي أُرسلت لاكتشاف مجاهل تلك الانحاء ومعرفة ما فيها من انواع الحيوان والنبات وما يحدث في جوها من الظواهر الجوية وقد وصفنا مالافادهُ ركابها من الشدائد في تلك الاصقاع. وحالما وصلت ارسل ملك الانكليز يهنئ قبطانها برجوعهِ سالماً غانماً وامر ان يصنع نشان يقلدهُ الذين يخدمون في الانحاء القطبية وسيقلد بهِ ضباط هذه السفينة ويجازيها جزاء لم وترغيباً لغيرهم في ما يرقي شأن بلادهم

القطن الصناعي

يصنعون في اوربا قطناً من خشب نوع من الشجر وذلك انهم ينزعون من اغصان الشجرة وجذعها ما فيها من اللحاء والعقد ثم تحمى بالبخار ويضاف اليها محلول بي كبريتات الصودا حتى تلين وتبيض ثم تضغط وتدلك وتحمى ايضاً وتغمس في كلوريد الكلس وغيره من المواد وتنقلب في حالات اخرى كثيرة فتخرج اخيراً خيوطاً فتصمغ وتوضع بين اسطوانتين لتجفف وتصير نسيجاً يصلح لعمل الملابس منهُ ولكنهُ لا يكون متيناً كنسيج القطن

اطول اللحى

في الولايات المتحدة الاميركية رجل اسمهُ ڤلنتين تبلي طول لحيتهِ اكثر من احدى عشرة قدماً . اطلقها في الحرب الاهلية ولم يحلقها بعد ذلك وهو يلفها في منديل من الحرير ويضعها في جيب قميصهِ

دود لوز القطن

رأى المستر كوك العالم بالحشرات ان في غواتيمالا نوعاً من النمل يأكل الدود الذي يخرب لوز القطن فينجي القطن منهُ فاهتمَّ ديوان الزراعة في وشنطون بهذا الامر وعين اناساً للبحث فيهِ عساهم يصلون الى طريقة لاستخدام هذا النمل في استئصال دود القطن

نيران الغابات

كثيراً ما تشب النار في الغابات الكبيرة الملتفة الاشجار في اميركا وتندلع السن اللهب من كل جهة وتمتد بسرعة حتى تتصل باطراف الغابات ويذهب ما فيها طعم النار. ومن هذا القبيل نار شبت في حرجة من حراج اميركا سنة ٨٢٥. فاحتدم ضرامها ظهر السابع من اكتوبر ولم يمض تسع ساعات حتى التهمت بقعة طولها ٨٠ ميلاً وعرضها ٢٥ ميلاً وفيها مليونان ونصف مليون فدان فهلك كل حي فيها حتى سمك الانهار التي تخترقها واحترق عدد من المدن ولكن اهلها نجوا ما عدا ١٦٠ نفساً منهم

وشبت نار اخرى في مكان آخر منها سنة ١٨٧١ فالتهمت بقعة مساحتها الفا ميل مربع واتلفت من الاملاك والاشجار ماقدروهُ بملايين الريالات واحترق نحو ١٥٠٠ نفس. واتلفت نار غيرها من الخشب ما قيمتهُ مليونا جنيه. وشبت نار أخرى في غرة سبتمبر سنة ١٨٩٤ فاتلفت ما قيمتهُ ٥ ملايين جنيه

سكة حديد الرأس ومصر

ورد في الجرائد الاخيرة ان القسم الاول من سكة الحديد التي كان سسل رودس اول من قال بمدّها بين مصر والرأس تمَّ او كاد فانهم مدّوا الى الآن خطوط السكة على مسافة ١٦٠٠ ميل فبلغت ضفة نهر زمبيسي الجنوبية عند شلالات فكتوريا. وقد شرعوا في بناء جسر للسكة الحديدية فوق النهر المذكور ومتى أتموا بناءهُ اخذوا في بناء القسم الثاني من السكة وهو يمتد من نهر زمبيسي الى جهة بحيرة تنجنيكا وطولهُ ٢٥٠ ميلاً. وقد قدّر سسل رودس ان طول الخط بين مصر والرأس يبلغ ٧٥٠٠ ميل فاذا طرحنا من ذلك ما مدوهُ منهُ او شرعوا في مدهِ جنوباً وما مدّ منهُ شمالاً بقي نحو الفي ميل لم تمدّ بعد

الدخان والصقيع

اثبت بعض رجال الزراعة ان الدخان يمنع الصقيع وما ينتج عنهُ من الضرر بالمزروعات وخصوصاً الكرم. وذلك بان تشعل النار في الارض التي يراد حفظ مزروعاتها مدة ايام البرد الشديد ويفضل اشعال المواد التي لا تشتعل بسهولة بل يتصاعد دخان كثيف عند احراقها مثل العشب الاخضر او اليابس الرطب. وقد ابانوا ان نفقة ذلك تقل كثيراً عن الخسارة التي تصيب المزروعات من الصقيع. وفي فرنسا يحرقون الزيوت الكثيفة التي تبقى بعد عمل الغاز في معاملهِ

فهرس الجزء العاشر من المجلد التاسع والعشرين

٨٣٣ كتاب روزبري عن نبولبون (مصوَّرة)
٨٤١ المهاجرة الى اميركا
٨٤٤ اكليل الغار (ش)
٨٥١ أذن الانسان
٨٥٥ بنك رو يستون
٨٦٢ سياسة المدرسة . للاستاذ جرجس افندي الخوري المقدسي
٨٦٦ المدرسة الكلية الاميركية (سائح)
٨٦٩ قوانين يوستنيانوس . للاستاذ سعيد افندي الخوري الشرتوني
٨٧٩ المغالاة بالصوَر
٨٨٢ العمر والتدابير الصحية
٨٨٥ حياة الجماد
٨٩١ مصطفى فهمي باشا وتجران باشا
٨٩٨ التصعيد في الجبال (مصوَّرة)

٩٠٣ باب الزراعة * محصول القطن ومستقبله . قطن السودان . موسم اميركا . قطن فلسطين فائدة في زراعة القصب . التوت ودود الحرير
٩١١ باب المراسلة والمناظرة * ماهية الروح . فسخ الخطبة
٩١٥ باب المسائل * الضعف والقوة والسمن والنحافة . تقدم اليابانيين وتأخر الروس . الاسطول الياباني والاسطول الروسي . نهاية الحرب . ثديا الرجل . الوحام . قدم الانسان . الاطام والعلم
٩١٦ باب الاخبار العلمية * وفيه ٢٤ نبذة
رواية البوليس السري ملحقة بالمقتطف

الفصل الرابع والعشرون

زَرْعُ الريح

وبعد انقضاء الحرب اجتمع ممثلو هذه الرواية في لندن لعرض الفصل الاخير منها . وكان غودارد قد شفي من جرحه البالغ ورجع اللورد ارلنفورد من نيس واخذ البرنس سكولوف يعيد الشرك الذي اعده للتبييت على فريسته في اقرب وقت

فنعود بروايتنا على بدء في غرفة صغيرة بمنزل املي دشتون حيث لم يكن فيها في مستهل التمثيل سوى شخصين احدهما يروح ويجيء في عرض الغرفة مضطربًا والآخر جالس على كرسيه هادئًا . وكان الاول اللورد ارلنفورد والثاني الماجور هومر كرتر شقيق املي

فوقف ارلنفورد بغتة ودنا من كرتر وقال: —

— ايُّ شيطانٍ بعثك على السماح لاملي بالعودة الى انكلترا في مثل هذه الاوقات الصعبة ؟

— لكنك تعلم ياصديقي العزيز انهُ ليس لي عليها من السلطة اكثر مما لك . ويظهر انها تهتمُّ بتقرير الامر وفصل الخطاب . وقد الحت عليَّ في ذلك اشدَّ الالحاح . ولقد طالما حذرتك منها وانذرتك بشرها حين يمسها الغيظ ويحركها الروح

— لكني قادر منذ الآن ان أوفي كل ماعليَّ من الديون واهاجر الى بلاد الجزائر

— هذا اذا وجدت املي سهلة القياد لاتعارض في انفاذ هذا المراد

— عليَّ تدبير الامر فلستُ اظنها تسبب لي تعبًا . أنظر يا كرتر ! اروم منك ان تذهب الى المستر ريس وتخبرهُ اني لا استطيعُ الذهاب اليهِ اليوم . وربما ذهبتُ غدًا . على انهُ اذا كان جوادهُ كما وصفهُ لي فاني اشتريهِ

— لكنك قلت لي انك ذاهب الى الجزائر

— نعم لكني اتوقع الربح في السباق القادم

— فقام الماجور وخرج . ولم يلبث ارلنفورد وحدهُ طويلاً حتى دخلت املي دشتون فاقبلت عليهِ فاتحة ذراعيها وقالت : —

— الست مسرورًا برؤيتي ياجاك ؟

— وددتُ لو انكِ لم تأتي

يالك من جافٍ غليظ الطبع قاسي الفؤاد ! أهكذا تقابلني بعد طول البعاد ياناقض العهد وقليل الوداد

ثم اقتربت منهُ ووضعت يدها على كتفهِ . اما هو فتملص منها معرضاً وقال : —

— اعلمي ياعزيزتي انهُ كان يجب عليك ان لا تأتي الى هنا لانكِ بقدومكِ هذا تهدمين كل مابنيتهُ . فلماذا لم تبقي في باريس ؟

— لان حماقتي حماتني على الاهتمام بك وضعفي اوهمني انك تهتمُّ بي . فاعلم يا جاك ان اليوم الذي اتحققُ فيهِ انك عامل على خذلي وخداعي يكون عليك اشأم الايام . وأخشى انك تخرجني فتخرجني الى مالا ارجع عنهُ ولو تجرعتُ كأس الحمام . فلا تضيقنَّ عليَّ النطاق لاني في ساعة غضبي اكون مرَّة المذاق وصعبة لا أُطاق

— املي ! املي ! خلي عنك التقعر فاسنا في شيء من التأنق في الصوت والافتنان في الحركات والاشارات ولا حاجة لك ان تذكريني احدى ممثلات الروايات !

— ولكني عندما اشرع في تمثيل " دوري " اضطرك الى الانتباه ولو بالرغم والاكراه . على انهُ قبل حلول الوقت اروم منك ايضاح امرين . فقد جئتك متوقعةً انك تسرُّ برؤيتي لاني لم اصدِّق ما سمعتهُ عن علاقتك بتلك الفتاة الاميركية . والآن اطلب ان اسمع منك ما يثبت هذه الاشاعة او ينفيها . لا ارتاب في انَّ دناءتك تحملك على تخادعتي وانما ارتاب كل الارتياب في ان يبلغ منك الغرور مبلغاً يدفعك الى التعريض بنفسك لمغبَّة عداوتي وعاتية حنقي . ولكن مالي ولهذا كلهِ . فلم اجئ الى لندن للايعاد والتهديد . فقل لي هل انت عازم على الاقتران بتلك الفتاة ؟

— كلاَّ

فسرَّي عن املي وقالت : —

— هكذا كانت تُقتفى بك . انتَ اجلُّ من ان تفعل هذا يا جاك . انت اجلُّ من ان تُقدم عليهِ . لم تذهب اتعاب سفري سدى . حقاً لقد زال قلقي وصفا جوُّ قلبي من الكدر مع اني من البداءة لم اصدِّق هذا الخبر . لكني لم استرح حتى تحققتُ الامر عياناً فنعماً انت رجلاً وبُورِك فيك انساناً

— والآن يا أملي فلنضع حدَّاً لهذه الامور . واعلمي اني راجع الى امرأتي

— ماذا : أبجدٍ تكلمني ؟

— نعم

— وانا بجدٍّ اقول لك انك لن تستطيع هذا ايضاً !

— اليكِ عن الطيش والرعونة واصغي الى كلامي بهدوء وسكينة فانَّ احدى عمات زوجتي وهبتها كل ما تملكهُ ونصحت لها ان تصالحني . فهل أُضيع هذه الفرصة السانحة ولا انتهزها واحوالي كما تعلمين رديئة جدًّا ووكيلي لا يستطيع ان يمدَّني بمليم واحد . اذًا وافقيني على هذا الامر ولكِ مني خير الثناء واطيب الشكر

— او تخالني رهينة امرك . او في افتقارٍ الى خير ثنائك واطيب شكرك . أقلعْ — نعم أقلع عن هذا المقال ولا تعللنَّ نفسك بالمحال وقد آن لك ان تصغي لي فاسمع فاحدثك بالواضح الجلي . اي جاك اركفورد اعلم اني طالما وطَّنت نفسي على احتمال كل مشقةٍ وعناء لاجلك ومعك — على طريق المحبة . اما الآن وقد اتضح لي انك اتخذتني وسيلةً لقضاء مصالحك فاسمع ما عندي عليك . قد امتهنت نفسي لاجلك كثيرًا واشيعتها تحقيرًا وتعييرًا فينبغي لك ان تجزيني على هذا الاحسان بالاحسان وتقترن بي منذ الآن

تعقلي يا املي ! فعلى الانسان ان يجعل غاية لمطمح نظرهِ ولا يتطاول على قصرهِ . وما كنت قط لابلغ هذا المبلغ من الجنون وانتهي الى هذه الدركة من الموت . فلي بعض الاصحاب وينبغي ان اكون عندهم محترماً

— اذًا انا لستُ اهلاً لك ! أنت الذي لا يقوى على دخول بيت احد الشرفاء الادباء في انكلترا — انت اللص — انت المنافق — انت "النصاب العيار" ! — أنسيت اني اعرف كيف قضيت على غودارد بالخراب والدمار ؟

— لست ابالي بما تعرفين لاني اردت الاهتمام بكِ فأبيتِ . ومعلوم ان المرأة التي تستميل رجلاً متزوجًا الى محبتها لا تنال من هذه المحبة في النهاية سوى شر مغبتها . فانا باذل الآن غاية جهدي في استرجاع مقامي واحترامي في الهيئة الاجتماعية وبعد خمس سنوات ينسى الناس ذكر ماضيَّ ولا يعود احدٌ يعهدني في شيءٍ مما كنت عليهِ قبلاً . وكان يمكنكِ ان تدركي لاول وهلةٍ من تصريحي لكِ بعدم رغبتي في حضوركِ اني لا ارضاكِ —

واعترض ثمة كلامهِ دخول خادمٍ بيدهِ رقعة دفعها الى السيدة املي فتناولتها ومزَّقت غلافها بمزيد السرعة وطالعتها والغيظ يقيمها ويقعدها . ثم كتبت جوابها واعطتهُ للخادم فانصرف في الحال —

وبعد انصرافهِ ظهرت عليها لوائح الهدوء فقالت : —

— كنت اظنُّ ان كلاً منَّا يعرف الآخر جيدًا . ولكن يظهر لي ان كلينا أتيح لهُ الآن

ان يطلع على ما كان يجهلهُ من قبل . فعزمك الجديد على استرجاع مقامك بين الناس غريبٌ جدًّا كما ان ماعزمت انا عليهِ الآن لا ينقص عنهُ غرابة فبكل صراحة ارفض قبول ماعرضتهُ عليَّ

— يا عزيزتي املي ان اعظم ما دعاني الى التعلق بكِ توهمي انكِ على جانب عظيم من التعقل . فلستِ على شيء مما اعهدهُ فيكِ من قبل وقد اظلمتكِ طلع امري

— وبعبارةٍ اخرى انك تكرهني ! فالآن اخبرك بما انا صانعة. لست اقوى ان أُكرهك على الاقتران بي . لكني لا ادعك تقترن بغيري . فقد طالما شددت ازرك في مقاصدك الرديئة وارتطمت لاجلك في ادناس دنايا وارجاس خزايا لم يكن مال العالم كلهُ كافيًا لاغرائي باغترامها واجترامها . وان كانت نفسك الأمَّارة بالسوء تسوّل لك انك قادر ان تقول لي " استودعكِ الله لم يبق لي من حاجة اليكِ " وتتوقع أنَّ هذا يكون ختام الامر فانت أكبر مغرور واعظم جاهلٍ بمثل هذه الامور . أو هذا ظنك في امرأةٍ متعقلة — كما تفضلت بوصفك اياي — كانت على الدوام مستعدة لاستجلاب مسرتك وتكثير موارد الخير عليك ؟ وكانت وهي توجّه قواها العقلية نحو ما فيهِ صلاحك ومنفعتك تعدُّ متعقلة محبوبة ولكن حين وجّهتها قليلاً الى الاهتمام بمصلحة نفسها حسبتها طائشة رعناء . أأكون متعقلة اذا سكتُّ عنك الآن وهمتُ على وجهي في الارض متروكةً وحدي لا منقذ لي ولا معين لكي تكون انت عضوًا مكرمًا في جسم الهيئة الاجتماعية ؟ يا للغرابة ! لقد ساء فألك وكذبتك نفسك

فنهض اللورد واخذ برنيطتهُ وعصاهُ وتقدم نحو الباب يروم الخروج فحنَّت اليهِ واحاطتهُ بذراعيها قائلةً : —

— جاك . جاك . لا تذهب على هذا المنوال . عفوًا فقد غاظك كلامي . عدني انك لا تذهب

فاجابها بخشونة : —

— لقد حدثتك بكل ما عندي . دعيني اذهب دعيني اذهب ثم دفعها بيدهِ وخرج وفي اندفاعها زلَّت قدمها فسقطت بعنفٍ شديدٍ الى الارض وظلَّت هنيهةً كمن اصابهُ دوار ثم تنهَّدت تنهُّدًا عميقًا سرَّى عنها بعض كربها ونهضت خائرة القوى ضعيفة العزم حتى انها بالجهد استطاعت الوصول الى مكتبتها فلاحت منها التفاتة الى الرقعة الملقاة عليها فقالت بصوت جهير : —

آه يا جاك لو عرفتَ من ذا الذي ينتظر جوابًا على الرقعة لكنتَ اشدَّ تبصرًا واوفر تعقلاً — لكنك ستعرف عما قليل وتندم حين لا ينفعك الندم

ثم قرعت جرسًا امامها وفي الحال دخل القائد او بين غودارد فاسرعت الى استقباله بعدما تغلّبت على نفسها واخفت تأثّرها من ذلك السقوط العنيف وقالت : —

— لا يسعك ان تصف شدة ابتهاجي برؤيتك . فقد كنتَ محسنًا اليَّ اكثر مما استحقّ وقد بقيتُ الى هذه الدقيقة كافرةً بجميلك وجاحدة لمعروفك

فاجابها متلطفًا : —

— مسكينة ! لِمَ اراكِ مضطربةً ؟ ماذا اصابكِ ؟ وهل استطيع مساعدتكِ

— انك دائمًا مصدر هذه العواطف الشريفة يا اوبين فلله درك من مفضال كريم الشمائل ! وقد علمتُ مما كتبتهُ اليَّ انك قادم للسعي في حمل ارلنفورد على الاقرار بما جناهُ عليك وثروم مساعدتي . ولا ريب في انك تُقدر هذه المساعدة حق قدرها

— نعم لان كثيرين باقون مرتابين في براءة ساحتي . وستعقد هذه الليلة جلسة في بيت المستر بركز لاجل هذه الغاية وارجو ان تكوني من اكبر المساعدين لي . لانكِ تعلمين براءتي

— نعم اعلمها وسابرهنها . اذهب الآن فاني انتظر زائرًا . لاتلبثي على اشتراكي في هذه المسألة فقد كان لي ضدٌّ وهو محبتي لمن تعرفهُ . والآن — الآن — دفعني دفعةً صرعتني الى الارض ! آه !

— دفعكِ !

— نعم

— يالهُ وحشًا ضاريًا !

— لا بأس . اذهب الآن . ومساء نلتقي

وبعد خروجهِ قامت مرةً ثانيةً الى مكتبتها واخرجت منها غلافًا ومزقتهُ بسرعةٍ لا مزيد عليها واخرجت منهُ ورقة لعب وهي " رَوَا السباتي "

وفيما هي تنظر اليها دخل الخادم وبيدهِ رقعةٌ فتناولتها متراخية متثاقلة وفي طرفة عين هاج غضبها اذ تلت على الرقعة اسم " السيدة ارلنفود " . فالتفتت الى الخادم وزعقت بهِ : —

— هل قلت لها اني هنا

— كلاَّ ياسيدتي بل اخبرتها باني سانظر

— اذًا قل لها اني غائبة

ثم نادتهُ بعد ما كاد يخرج : —

— قف . ماذا تريد مني — هذه المرأة — هنا في بيتي ؟

وبعد ما وارت الورقة في جيبها امرت الخادم بان يدخل الزائرة اليها وحين دخولها قالت لاملي : —

— لا ريب في انكِ قلقتِ لزيارتي هذه ايتها السيدة ويجب عليَّ الاعتذار عن تطفلي عليكِ . لكنني لم اجد مندوحةً عن مقابلتكِ . ان — ان لي حاجة اطلبها منكِ

فاشارت اليها املي بما دلَّ على اصغائها الى كلامها واستتبعت تلك قائلة : —

— بلغكِ نبأُ الاجتماع الذي ينعقد هذا المساء لاجل تبرئة اوبين غودارد

— نعم

— واظنكِ تكونين فيهِ

— نعم

— سمعتِ اني عازمة على الرجوع الى زوجي اللورد ارلنفورد

— نعم

— ان مقام اللورد موقوف على ما تقولينهُ أنتِ ولا اجهل حرج موقفك في مثل هذه الاحوال وارجو انهُ يأتي احسن اصلاح ممكن . وقد جئتكِ الآن متوسلةً اليكِ ان تمسكي عن التشديد عليهِ جهدكِ

— ماذا ترومين ان افعل

— مرادي ان لاتحاربيهِ بتلك الورقة

قدمت املي يدها الى جيبها واخرجت الورقة المعهودة ووضعتها امامها . فلما رأتها السيدة ارلنفورد صرخت :—

— هذا ما كنت اخشاهُ . ولا بُدَّ ان يكون القائد غودارد عازم على اظهار الورقة التي معهُ — المكتوبة بخطي . فارحمي زوجي ولا تضيفي هذه البينة القوية الى تلك

— لقد كلمتني ايها السيدة بحرّية تامة فلي انا ايضاً ان اكلمكِ كذلك . فقد كنت عازمةً على صيانة هذه الورقة واخفائها حتى عن نفسي . ولكن منذ ساعةٍ تغيرَّت الاحوال

— ارجو ان تعودي الى —

— لا . دعيني افكر

ثم حال دون افتكارها دخول الخادم يقول لها سرًّا ان البارونة التدورف خارجاً تنتظر الدخول فامرتهُ بادخالها والتفتت الى الس وقالت : —

— ان احدى السيدات قادمة لزيارتي في وقتٍ معيَّن لها من قبل . وعلى افكارها

يتوقف امر تسرفي في هذه الورقة فادخلي هذه الغرفة التالية غير مأمورة وبعد ذهابها اطلعك على ما يكون

— تقولين انها قادرة على تقرير فكركِ افلا تدعيني اجتهد في استمالتها نحوي ؟ فعلى المرأة ان ترفق بنت جنسها

— ليس الآن بل بعد اجتماعي بها على انفراد

فدخلت السيدة ارلنفورد الغرفة الملاصقة وجلست املي وحدها تنظر الى الورقة وتخاطبها :—

— لست اعلم لمن يكون نصيب الحصول عليكِ ؟ فكلٌّ من ذينك الرجلين وهذه المرأة التي كانت الآن هنا يبذل في طريق نيلكِ مالاً جزيلاً . والشيطانة الجميلة يهمها الحصول عليكِ اكثر من كل واحد منهم . ترومين ايها البارونة التدورف ان اساعدكِ على رفع النقاب عن وجه ارلنفورد ولا تعلمين اني عازمة على بذل هذه المساعدة بملء الرضى والمسرة

ثم دخلت الشيطانة الجميلة فتقدمت املي لاستقبالها قائلةً :—

— بغاية المحافظة على الوقت ايها البارونة . حسناً فعلتِ ولا يخامركِ ريبٌ في اني اندر ثقتكِ بي حق قدرها وسوف ابرهن ذلك

— لقد برهنتِ بكتمانك سرَّ نقلد غودارد قيادة الفرقة الطيارة حين تدومي الينا في مرقبنا السياسي قبلما يرحلنا الى نيس

— لكنني لم اعرف ذلك الاَّ بعد ما تركني ارلنفورد في باريس ورجع الى لندن

— وحسناً ارتأينا ان نحملكِ على الارتياب في صدق هذا اللورد قبلما نطلعكِ على سرٍّ عظيمٍ كهذا . فلا يخفى عليكِ اننا نحن النساء حيثما نحبهُ —

— نعم . نعم . فهمت مرادكِ والآن تريدين ان اساعدكِ على اتمام شيء آخر

— نعم وارجو اني استطيع الاعتماد عليكِ

— ساجتمع بكِ هذه الليلة الساعة التاسعة في منزل المستر بركز وسيزى غودارد انهُ لا يكون لهُ هناك مساعد نظير املي دشتون

— توقعت اولاً اني سوف اتعب كثيراً في حملكِ على مساعدتنا لكنكِ تفضلتِ بقبول هذه المساعدة بملء الرضى على خلاف المنتظر ولستُ اسألكِ عن سبب ذلك . ولسوف ابرهن لكِ اني قادرةٌ هذه الخدمة قدرها . لان مرجع تبرئة غودارد اليكِ . ومعوَّل نجاحنا في نيلها عليكِ وسوف يسبب لكِ ذلك حزناً والماً وان سبب لنا فرحاً وابتهاجاً . لانكِ امرأة

وحيدة ليس لكِ شريك ولا معين على مجالدة هذه الخطوب . فارجو ان تثقي بانكِ في كل حين تستطيعين الاتكال على امرأة واحدةٍ تشاركك وتعضدك وان مست الحاجة تحميك وتلك المرأة هي التي تعرفينها باسم الشيطانة الجميلة . هذا وفي اراكِ مضطربة كثيرًا فأشير عليكِ بأن تستريحي قليلاً وفي الساعة التاسعة أرسل اليكِ مركبتي

— شكرًا لك . سأكون مستعدة في الوقت المعين

— اظنكِ لا تزالين محافظة على الورقة التي اعطاكِ اياها ارلنفورد

— هذه هي

— هل تسمحين لي بالحصول عليها ؟

— عندي سيدة تنتظر انصرافك لكي تعيد التماس الحصول على الورقة لتمزقها

— سيدة ! من هي ؟

— الكونتس ارلنفورد

— يهمني جدًّا ان اقابلها . تتفضلي بدعوتها الى هنا وعزّ في كلاًّ منا بالاخرى

— ولكني اخشى حضور هذه المقابلة

— ادعيها واعتذري عن الحضور واتركينا وحدنا فاكفيكِ مؤونة الحيرة في امركِ وارفع عنكِ ثقل الاهتمام باجابة طلبها

— باي اسمٍ ترومين ان تعرفي عندها ؟

— باسمي الخاصّ — البرنس غالتزن

— ماذا !

— هذا هو اسمي الحقيقي . ولم يعرفهُ قبلكِ احد غير البرنس سكولوف . فذهبت املي وجاءت بالس وعرفتها بالاميرة غالتزن وتركتهما وحدهما وخرجت

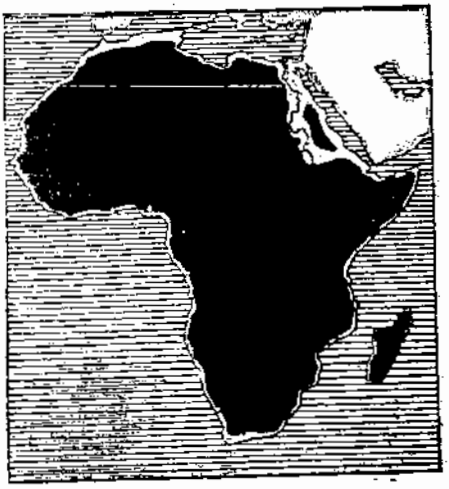

افريقية سنة ١٨٠٠

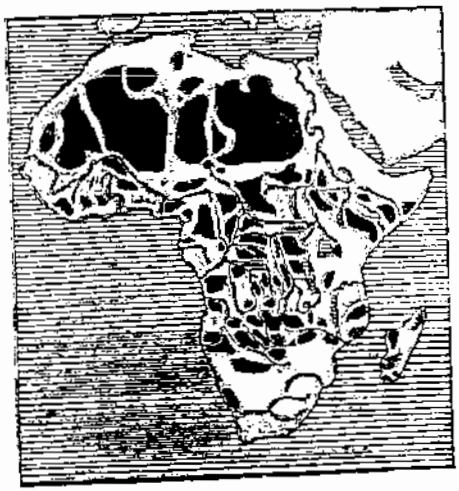

افريقية اليوم

اميركا الشمالية سنة ١٨٠٠

اميركا الشمالية اليوم